9me Année No. 403

Lundi - 29 - 9 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الإثنين ٨ رمضان سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤١ » العـــدد ٤٣٠

الفهـــــرس

٢٢ ـ ١٧

عبرة من « نظام أوربا الجديد »

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

« نظام أوربا الجديد » عنوان إن هو إلا زواق خادع ، خلعته الدعاية النازية على سياسات شيطانية تؤسسها القوة الألمانية فى أوربا ، لتستغل بها الشعوب المغلوبة وتستفحل ، فتمد رواق سيادتها حيث توجد مطامعها من العالم القديم إلى الجديد ، إن هى خرجت ظافرة من هذه الحرب الضروس

وقد استعار إينتسج(1) ذلك العنوان لكتابٍ فنّد به « ما تدعيه النازية من أن الدول الأوربية التى تخضع لسلطان ألمانيا ستتمتع برخاء منقطع النظير فى تاريخ البشرية » فى ظل هذا النظام ، وكشف « عن الخطط المحتملة التى تدل التجارب على أن النازيين سوف يتبعونها فى المستقبل » . فلله درّه !

دعاية تحارب دعاية ! لكن « إينتسج » جاء بحقائق وعبر يجب أن يتأملها الناس ، عسى أن تستنير بها بصائر ، وترتفع أوهام ، ويتبين مآل كل حال . وحسْب الشرقيين موعظة قوله :

---

(١) (Paul Einzig) باول اينتسج ، من علماء السياسة والاقتصاد ولد سنة ١٨٩٢ فى ترنسلفانيا (جنوب الكاربات ، بين رومانيا والمجر) وتجنس بالجنسية الانجليزية سنة ١٩٢٩ .

« الشرط السياسي الأساسي لقيام نظام أوربا الجديد هو وجود جيش ألماني . . . بحال تمكنه من غزو البلاد التي يريد غزوها من غير أن يلاقي مقاومة تستحق الذكر ، يكفي لقيام الأحوال السياسية التي يحتاجها إنشاء النظام الجديد »

ولذلك فإننا غير واثقين من أن البلاد التي يشملها هذا النظام ستحتلها قوى ألمانيا العسكرية بصفة دائمة ... وأكبر ظننا أن بعض أجزاء من البلاد المفتوحة ستضم بالفعل إلى الدولة الألمانية ... لكن ألمانيا قد تجد من الملائم لها مع ذلك أن تقيم عدداً من الدول الخاضعة لسلطانها مستقلة بالاسم عنها ، ولكنها خاضعة لها خضوعاً تاماً[1] . . .

ولن ينقضي أجل الاحتلال الألماني للبلاد المفتوحة حتى يقام فيها نظام للحكم موال لألمانيا . ولربما اتخذوا من وعدهم بجلاء الجيوش الألمانية وسيلة يحصلون بها على تأييدهم في إنشاء نظم للحكم صورية تكون ألعوبة في أيديهم . أما الأمم التي تظهر عدم رغبتها في قبول « حقائق الموقف » ، فستنذر بالضم إلى الدولة الألمانية ...

إن قيام هذه الحكومات المحلية بالأعمال الإدارية العادية يوفر على برلين عناء كبيراً ، ويمكنها من أن تتفرغ لوضع قواعد سياستها العامة . يضاف إلى هذا أن جزءاً من العداء الذي يوجه إلى ألمانيا إن أدارت هي شؤون البلاد ، سيتحول تياره نحو هؤلاء الحكام ، فإذا لم يطق الناس حكمهم لشدة كرههم إياه ، استبدلت بهم طائفة أخرى من الخونة الذين لا يستنكفون أن يخدموا المصالح الألمانية ...

وليس من المحتم أن يكون الذين يقبلون الاشتراك في هذا العمل الاداري خونة ، فقد يشعرون بأنهم يخدمون أمتهم إذا قاموا بالعمل العادي الضروري لحياة المجتمع الحديث[2]

(١) ويقول في سياق كلامه : « ستجعل ألمانيا من هذه البلاد بلاداً زراعية لكيلا يكون ثمة خطر عليها هي ، وستحرمها بذلك حرماناً دائماً من كل فرصة تمكنها من الوقوف في وجه القوة الصناعية والحربية للدولة الألمانية صاحبة الحول والطول . وفوق هذا فان ألمانيا سترقب بعين يقظة الحاصلات الداخلية والواردات الآتية إلى البلاد التي ستتخلى من سيطرتها الحربية المباشرة عليها . فستسيطر ألمانيا بمقتضى قواعد النظام الجديد على التجارة الخارجية لهذه البلاد سيطرة تامة . وستحول هذه السيطرة بينها وبين شراء الأسلحة من البلاد الأجنبية » . ص ٣٠ و ص ٣١ .

(٢) وهؤلاء ، في أغلب الظن ، لا يزعمون أنهم القادرون والمتصرفون في السياسات القومية العليا ، ولا يحيدون في أعمالهم من الصراط المستقيم

ولكن الذي نرجحه أن تقوم سياسة ألمانيا في البلاد التي تحت سلطانها على إيجاد طوائف من الخونة مختلفين ، نازيين أو غير نازيين يعارض بعضهم بعضاً . وقد تكون الأحزاب النازية المحلية المتنافسة أصلح الطوائف لهذا الغرض ، فإذا لم تكن كذلك فإن ألمانيا لن تتردد في أن تقدم معونتها لأي نظام يخضع لمشيئتها وإن لم يكن قائماً على المبادئ النازية ...[1] »

تلك إذن هي السياسة النازية العاملة في البلاد الأوربية ، وهي من ظواهر المنطق الألماني الذي يوهم صاحبه أنها سياسة يعمل بها حتى غير الألمان ، فيقول اسْتي[2] مثلاً في كلام على التوسع الامبراطوري البريطاني في مصر : « وجد لسوء الحظ في مصر ، كما وجد في الهند ، خونة للوطن ظنوا أنهم بعون الانجليز يستطيعون الاستيلاء على الحكم ، وبهذا نجحت في البقاء بمصر سلطة أجنبية ما كانت أبداً لتستطيع التسلط على بلد متحد حول الفكرة القومية »

لو وقع ذلك في مصر لكانت حالها حينئذ عين الحال التي يضربها الألمان من الآن على أمم أوربا المغلوبة وهي ليست بأقل منهم إنسانية ، وإن أنكرت ذلك النازية المتغطرسة حتى على الآريين من غير الجرمان

وإذا كان شأن الألمان مع الأوربيين أنفسهم هو ما علمت فما الظن بما يستحلون في استعباد الشرق واستغلاله واستيعاب ثروته ، إن قدر لهم النصر في النهاية ؟

حقاً إن في بيان إيننتسج لعبرة يجب أن يعتبرها كل مخدوع أو مخادع وهو غافل عن الحقائق

محمد توحيد السلحدار

(١) الصفحات ٢٧ إلى ٢٩ و ٣١ إلى ٣٤ — ويقول كذلك : « قد يسمح الألمان بحكم الضرورة الوقتية إلى بعض الأمم المغلوبة أن تعتقد أنها ستتعاون مع المغلوبين معاونة الند للند ، ولكن الألمان لا يلبثون أن يستردوا من فورهم ما منحوه لهذه الأمم من امتيازات متى زالت الضرورات العملية التي أملت عليهم هذه السياسة . فاذا كانت هذه الأمم المغلوبة بعيدة النظر ، فان عليها أن تعلم أنها لن تستفيد شيئاً من محاكاة نظم حكامها السياسية ، كما أن الأرقاء في الدولة الرومانية لم يكونوا ليستفيدوا شيئاً إذا ما خدعوا أنفسهم واعتقدوا أنهم مواطنون رومانيون » ، ص ٣٧

(٢) (Johannes Stoye) يوحنا أستي راجع الصفحة ١٣٠ في كتابه المترجم من الألمانية « انجلترا في العالم »

L'Angleterre dans le Monde Payot 1935 .

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الدراسة الجامعية كما يفهمها الأستاذ أحمد أمين — كيف تغترب ومعك قلمك ؟ — الشكوى إلى ضريح الامام الشافعي تصور يأس الناس من العدل في الأرض ، فهم يلتمسونه في السماء — إلى وزير الأوقاف — مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية ...

الدراسة الجامعية

للأستاذ أحمد أمين آراء تظهر من وقت إلى وقت ، فتدل على مبلغ فهمه للحياة الأدبية والاجتماعية ، وهي آراء لا تحتمل النقض ، لأنها في الأغلب واهية البنيان ، والمِعوَل لا ينقضّ إلا على البناء المتين

وآخرُ ما صدَر من تلك الآراء ، هو حكمه على الدراسة الجامعية ، فهو يرى أنها « تجعل من الحبة قُبّة ، ومن الهزل جدًّا ، وإن شاءت فمن الجِد هزلاً » ؛ ثم يقرر بعبارة صريحة أن الدراسة الجامعية : « تميت الحي وتحيي الميت ، فهي تحيي اللاتينية واليونانية والحبشية والأكادية وقد ماتت ؛ وهي تميت الحي ، فتدرس اللغات الحية دراسة تميتها وتُفقدها روحها ، وتُبعد عن تذوّقها ، ولذلك قلّ أن تُخرج الجامعة أديباً شاعراً أو كاتباً ، وإنما تخرج أديباً ناقداً أو أديباً عالماً ؛ ومن كان أديباً من رجال الجامعة فمن طبعه ونفسه ، لا من الدراسات الجامعية ، وإن شئت فقل إنه أديب برغم الدراسات الجامعية ، لا بفضل الدراسات الجامعية »

ذلك ما قاله الأستاذ أحمد أمين في العدد ١٤٢ من مجلة الثقافة الغراء ، وهو أعجب ما صدر عن هذا الرجل الفضال

وقبل أن أنقض رأيه في الدراسة الجامعية أقرر أن كلية الآداب لا تُطوّق بهذا الرأي ، ولن يكون حجة على أساتذتها وطلابها وخريجيها ، فيشمت فيهم الدّرعميّون والكلفريون[1]. فكلية الآداب هي صوت مصر الأدبي في الشرق ، ولن يضيرها أن يخطئ أحد المنتسبين إليها بكلمة يكتبها في وقت لم يكن يصلح فيه لجد ولا لعب ، كما صرّح بذلك في تلك الكلمة الواهية

ثم أواجه الموضوع فأقول :

أتكون مهمة الدراسة الجامعية أن تجعل من الحبة قبة ؟ أم تكون مهمتها أن تمنع الحبة من أن تصير قبة ، وأن تحمى القبة من أن تصير حَبّة ؟

المنطق يوجب أن تكون مهمة الدراسة الجامعية هي إقرار الحقائق في نصابها الصحيح ، بلا تزيّد ولا تحيّف ، وإلا كانت دراسة بهلوانية !

ثم أقول : كيف يكون واجب الدراسة الجامعية أن تجعل من الهزل جداً ، ومن الجد هزلاً ؟

يصح أن يقال إن الدراسة الجامعية ترى كل شيء صالحاً للدرس ولو كان من الهزل ، لأن العلم جِده جد وهزله جد ، ولكن كيف يصير الجد هزلاً بفضل الدراسة الجامعية ؟

ثم يحكم بأن الدراسة الجامعية « تدرس اللغات الحية دراسة تميتها ، وتفقدها روحها ، وتُبعد عن تذوّقها »

فمن أين أخذ هذا الرأي ؟ وعمن سمع هذا القول ؟

أتكون الحالة كذلك في كلية الآداب لهذا العهد ؟

ثم يرى الأستاذ أحمد أمين أنه يقلّ أن تُخرج الجامعة أديباً ، شاعراً أو كاتباً ، وإنما تُخرج أديباً ناقداً أو عالماً . فهل يستطيع أن يدلنا كيف تستطيع الجامعة أن تُخرج الأديب الناقد أو العالم وهي تدرس اللغة دراسة تميتها وتفقدها حيويتها وتبعد عن تذوقها ؟

إن الأصل المتفق عليه أن النقد هو إدراك الصلات الوثيقة بين الألفاظ والمعاني والأغراض ، فإذا صح أن الدراسات الجامعية تنحرف بالأستاذ والطالب عن ذلك الأصل فكيف تخرج الجامعة أديباً ناقداً وقد تسلّم على أساس منخوب ؟

والأصل في العلم أن يصل بصاحبه إلى فهم الحقائق على ما هي عليه ، فكيف تخرج الجامعة أديباً عالماً وقد أُبعِد عمداً عن تذوّق الجمال الأدبي ؟

كيف تغترب ومعك قلمك

قرأت خطابك يا صديقي ، وعزّ عليّ أن يقع في حياتك ما يزعجك ، ولو شئت لنصصت على اسمك وبلدك لتكون

(١) « الدرعميون » : أبناء دار العلوم ؛ « والكلفريون » : أبناء كلية اللغة العربية

الواساة جهيرة الصوت ، لا يصدّها تهيب ، ولا يسترها حجاب ، ولكن حرصى على استقلالك يمنع من هذه المواساة الجهرية ، فما أحب لأرباب الأقلام أن يحتاجوا إلى أسندة من العطف والإشفاق على صفحات الجرائد والمجلات ، وإن كان ذلك من الأساليب المألوفة فى العصر الحديث

إن الذى يعوزك هو الثقة بنفسك ، لتأنس بقلمك ، فلا تشعر بضجر الاغتراب فى بلدك وبين قومك ، فقد كتب الله الغربة على أهل الفكر والعقل ، ولو عاشوا فى رحاب عشيرتهم الأقربين ... ألا تذكر قول أبى تمام فى اغتراب أحد الفضلاء :

غَرُبتْه العُلا على كثرة الأهـ ـل فأمسى فى الأقربين جنيبا
فليَطُل عمرُه فلو مات فى « مَرْ وَ » مقيماً بها لمات غريباً

فما رأيت أصدق من هذين البيتين فى وصف ابتلاء أهل الفضل بالغربة والتوحّد ، وإن كانوا محفوفين بالمئات من الأصحاب والسُّجَراء ، ولا نظرتُ فى هذين البيتين إلا حمدت الأقدار التى قضت بأن يكون فى ماضينا الأدبى معانٍ كهذه المعانى ... طيّب الله ثراك ياحبيب !

على أنه لا بد من لومك على ما استجزت من إعلان التبرم بالناس ، ففى رسائلك إلىّ ما يشهد بأنك على جانب من الغفلة ، فقد كنت تتوهم أن الناس سيقيمون لك التماثيل فى حياتك ، لأنك واجهتهم بالطرائف الروحية والذوقية ، وفاتك أن تذكر أن « كل ذى نعمة محسود » وأن الفضل قد يعد من أكبر الذنوب ، لأنه يمنح أصحابه سلطاناً لا يزول ، ولأنه الآية الباقية على الزمان ، الآية التى تشهد بأن لله حكمة فى إعزاز أرباب المواهب ، ولو كانوا فقراء الجيوب ، والفقر فقر القلب لا فقر الجيب ...

يجب أن تعرف أن الذين يحاربونك لأنك جهرت بهذا الرأى أو ذاك ، لا يحاربونك مجاهدين ، وإنما يحاربونك مغتاظين ، فهم حطب جهنم ، ولو غطّوا أقوالهم بألف رداء من أردية الرياء

هل تفهم قول أبى فراس ؟

ومن شرفى أن لا يزال يعيبنى حسودٌ على الأمر الذى هو عائب

أفهم هذا البيت ، فما وجدت من يفهمه على الوجه الصحيح

معنى هذا البيت أن الشاعر يؤاخذ بأقوال وأعمال يتمنى عائبوه أن تكون من زادهم المكسوب ، وكذلك يتمنى خصومنا أن تخلَع عيوبُنا عليهم ، لأنهم يعرفون أنها عيوب رجال ، وعيوب الرجل هى العسف والسيطرة والاقتحام فى ميادين لا يطيقها غير الفحول

فإن صدقتْ فراستى فيك فستكون لك أنصبة ضخام مما يجيده صاغة الزور والبهتان ، وسيكون حاضرك وماضيك هدفاً لكل أفاك أثيم ، إلا أن ترى الأقدار أنك جدير بالراحة من حَمل الأمانة الفكرية والعقلية ، فتردك شبحاً لا يثور عليه حاقد ولا حاسد ولا جهول

إسمع ، يا صديقى !

فى كل ميدان تقوم جماعة من أهل الشجاعة والاستبسال ، فهذه جماعة تقاتل فى ميدان الوطنية ، وتلك جماعة تخاطر فى ميدان الاقتصاد ، إلى آخر ما أعرف وتعرف من أنواع الجماعات ، فكيف يخلو ميدان « الفكر الحرّ » من جماعة تصاول فى سبيل حمايته من طغيان أهل الغفلة والجمود ؟

وكيف يخلو زماننا من رجال يضحون بمنافعهم فى سبيل الحرية الفكرية ؟

وبأى وجه نلقى الله إذا تراجعنا وبأيدينا أسياف الحق وهى أقلامنا ؟

الجبن جائز على أى مخلوق ، إلا أن يكون من حَمَلة القلم أو السيف ، فإن كنت منا فأقدِمْ غير هيّاب ، وإلا ففى ميدان السلام الرخيص متسع للجبناء

أخوف مايخافه الفكرون من أبناء هذا العصر هو أن تصبح أعراضهم مضغة فى أفواه الغافلين والجاهلين ، وما خطرُ ذلك وهو هباء فى هباء ؟

إن لحومنا لحوم الأسود ، ولا تدخل مضغة منها جوف رجل إلا مزقته أفظع تمزيق ، وسوف يعلم المرجفون نبأ هذا النذير بعد حين

ثم اسمع ، يا صديقى

هل تعرف الأثر الذى يقول « من مات غريباً مات شهيداً » ؟

كان المفهوم أن المراد هو الغربة الجسمية ، كأن يموت الرجل فى بلد غير بلده ، فكيف يصير من يموت وهو فى غربة روحية أو عقلية ؟

عند الله ندخر الجزاء على هذا الاغتراب ، وكيف يقترب من

يأنس بالله ويكاد يراه في كل وقت وفي كل مكان ؟

إليك أوجه أشواقي ، أيها المحبوب ، وذلك هو اسمك عند الصوفية . إليك أوجه أشواقي ، فلولا الإيمان بسمو حكمتك في خلق الوجود على هذا الأسلوب لكانت الإقامة في بعض نواحيه جحيماً لا يطاق

وأنا مع ذلك عاتب ، فما الذي يمنع من أن ترفع الحجاب لأعرف بعض ما أجهل من أسرار هذا الوجود

لقد هديتني فعرفت أن لك حكمة في خلق « الكوبرا » وهي أشرس الحيات ، لأن سمها ينفع في دفع أشرس الأمراض وهو السرطان

فمتى تهديني لأعرف حكمتك في خلق الدساسين والنمامين والمفسدين والمرجفين من صاغة الزور والبهتان ؟

أيكونون من « الكوبرا » الآدمية ؟!

العدل بين الأرض والسماء

كتب أحد الوعاظ كلمة في إحدى المجلات رداً على ما قلت في الوعاظ وقد أراد ذلك الواعظ أن يذكرني بأهمية الوعظ فذكر أشياء يجب أن ينزه عنها الجمهور المصري ، ومن تلك الأشياء تقديم العرائض إلى ضريح الإمام الشافعي ، لينصف المظلومين من الظالمين

وكلام هذا الواعظ حديث معاد ، فقد قيل هذا الكلام قبل مئات السنين ، وهو لا يدل على فكر ولا عبقرية ، لأن أصغر متعلم يدرك أن الأمر بيد الله وحده ، وأن الشافعي لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً أو نفعاً ، فجهاد الوعاظ في مثل هذا الشأن التافه جهاد في غير ميدان

ولكن هذه العرائض لها مغزى فلسفي لا يفطن إليه ذلك الواعظ اللبيب ، وذلك المغزى هو اليأس من العدل بين أبناء الأرض ، والشعور بأن العدل لا يصدر إلا عن السماء

ومن هم المحتكمون إلى الإمام الشافعي ؟

هم جماعات من العوام عجزوا عن تقديم غرمائهم إلى ساحات القضاء ، لأنهم لم يجدوا الرسوم ، أو لأنهم لم يجدوا الشهود ، أو لأن حقوقهم على غرمائهم بلغت من الخفاء مبلغاً لا يفصل فيه غير السماء ، لأن قضاة الأرض لا يحكمون إلا بعد ظهور الأدلة والبراهين ، وهي لا تظهر في جميع الأحيان

هل سمعتم أن وزارة العدل كلفت أحد رجالها درس تلك الشكايات ؟

كل ما يقع هو اهتمام الشيخ القائم على الضريح بتمزيق تلك العرائض حتى لا يجدها الشاكون في أماكنها عند رجوعهم إلى الضريح ، وبذلك يفهمون أن الإمام الشافعي أخذها بيديه الكريمتين ليدرسها بعناية ، وليصدر حكمه الصارم على الظالمين

وإنما يفعل ذلك شيخ الضريح ليضمن عودة أولئك العوام بالنذور والهبات ، فهل أدبته وزارة الأوقاف ليكف عن عمله « المقبول » ؟

وكيف نعيب على العوام أن يستعينوا بالإمام الشافعي ، وجمهور المتعلمين في مصر يؤمن بأن لا تقديم ولا تأخير بغير الوساطات والشفاعات ؟

التفتوا مرة واحدة إلى هذه المعاني ، يا جماعة الوعاظ ، ولا تكتفوا بإعادة الدروس التي تلقيتموها عن أشياخكم ، وهي دروس لم تصل بهم ولن تصل بكم إلى يقين

إلى وزير الأوقاف

وزير الأوقاف لهذا العهد هو أستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعة المصرية من قبل ، والتفاتاته الذهنية تجعل الفرصة موانية لدرس هذا الموضوع الدقيق

وأنا أقترح أن يؤلف لجنة لدرس الشكايات التي توجه إلى الوزارات المصرية لنعرف فهم الشعب لقدسية العـدل ، ولنعرف أسباب يأسه من إنصاف القضاء

فإن أجاب — وسيجيب — فقد نظفر بفكرة فلسفية تؤكد القول بأن لا جديد تحت الشمس ، وأن الذين يقدمون شكاياتهم إلى الوزارات الإسلامية كان لهم أجداد يقدمون شكاياتهم إلى الوزارات الوثنية ، والمعنى واحدٌ عند أولئك وهؤلاء ، ومرجعه الأول هو اليأس من عدل الأرض ، والشواهد تنطق بأن لهذا المعنى وشائج في الحياة المصرية

يجب أن تصادق سكرتير الوزير لتصل إلى الوزير

ويجب أن تصادق سكرتير الوكيل لتصل إلى الوكيل

فما ذنب العوامّ في أن يتوهموا أن الحضرة السماوية لها

من أعمالنا :

حق الضيافة

للأستاذ علي الطنطاوي

قد أكون على موعد يفوتني بفواته خير عظيم ، ولا يبقى بيني وبينه إلا مقدار ما ألبس ثيابي وأمشي إليه ، فيجيئني ضيف لا حاجة له عندي ، ولا خير له في زيارتي ، ولا يبتغي مني إلا أن يدفع الملل عن نفسه بالبقاء ساعتين أو ثلاثاً عندي ، فيسقط في يدي ، وأحار في أمري : إن استقبلته ضيعت موعدي ، وإن رددته أضعت « حق الضيافة » وتعرضت لسوء الأحدوثة ؛ ثم أختار أهون الشرين : فأرحب به وأدعوه ، وآمل أن أفهمه حقيقة حالي وأعجل له بالقهوة فينصرف . . . وأجلس بين يديه متململاً متضايقاً ، وأتلطف في إفهامه والاعتذار إليه ، فلا يحفل بي ولا بموعدي ، ولا ينظر إلا إلى نفسه ورغبته في قطع الوقت بهذه الزيارة ، فيقعد آمناً مطمئناً ، يحدثني حديث السياسة ، ويسألني عن الروس واليابان ، والصين وتركستان ، ويعرض عليّ رأيه في الأنظمة التي ستعم العالم بعد الحرب ... ويفيض ويسهب ، وأنا أتقلّب على النار ، ويبقى على ذلك حتى لا يبقى لي منفعة من الذهاب ، ولا يمكن تدارك ما فات ، فينصرف ليتحدث عني بأني لقيته بجفاء وخشونة ، وكلمته باقتضاب وإيجاز ، ولم أوفّه « حقوق الضيافة » !

وقد أكون مستغرقاً في مطالعة ، أو منصرفاً إلى كتابة قد جمعتُ لها ذهني ... فيجيئني ضيف ، فأنزل إليه لأسمع منه لغو الحديث ، فيتفرق ما اجتمع من ذهني ، وتفسد عليّ مطالعتي ، وإن أنا بعثت من يقول له : « ليس هنا » أكون قد كذبت ، وإذا اعتذرت إليه بمطالعتي أو كتابتي أكون قد قصّرت في « حقوق الضيافة » !

وقد يأتي الضيف ومعه ولده ، فيعبث بالكراسي والناضد ويكسر الكأس ، وربما أمره أبوه بأن يتسلى باللعب مع أولاد الدار ، فينطلق كالجنّ ... فيفسد كل ما يمر عليه ويزعج الأهل ويأتي كل كريهة ، فإذا زجرته أو كففته أو أفهمت أباه أنه ليس من الذوق ولا من التهذيب أن يُحمل ابنُه — أعني عفريته — إلى بيوت الناس ، أكون قد فرطت في « حقوق الضيافة » !

وإن كانت وليمة أو عقد ودعوت عشرين رجلاً ، جاءوك ومعهم عشرون ولداً ، فتنقلب الدار إلى مدرسة أو إلى مارستان ويتحول المضيف إلى معلم أو قاضي أولاد ، وقديماً قال المثل العامي : « قاضي الأولاد شنق نفسه » ... فإذا وقفت على الباب خادماً يمنع دخول الأولاد ، غضب الآباء المدعوون ، وانصرفوا ساخطين على هذا الذي لا يعرف « حقوق الضيافة » !

وقد يكون لك عدو تعرّض لك بأنواع الأذى ، وأراك فنون العدوان ... ثم نشأت له حاجة عندك ، فزارك في دارك ، وأبى أن يشرب قهوتك حتى تقضي حاجته ، وربما كانت حاجته أن تنجح ابنه في الامتحان ... فإذا قضيتها خنت أمانتك وعاد إلى مضارتك ... وإن أبيت عليه وأعرضت عنه ، وأفهمته أن

سكرتارية أرضية ، وهم يشهدون تأثير الشفاعات والوساطات في جميع الشؤون ؟

ما ذنبهم وهم بفطرتهم من أهل القياس ؟

وهل يفهم هذا الكلام بعض من يتصدرون لهداية هذا الجيل ؟

افتحوا عيونكم وقلوبكم وعقولكم ، يا قادة الرأي في هذه البلاد ، فإن لم تفعلوا فسيكون للقلم معكم تاريخ

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

كتب إلينا جماعة من الناجحين في امتحان الثقافة العامة يرجون أن تلتفت مجلة الرسالة إلى تشريح الكتب المقررة لمسابقة الأدب العربي ، على نحو ما صنعتْ في السنة الماضية . وأجيب بأن شواغل هذه الأيام لن تصرفنا عن ذلك الواجب ، وسنشرع في تأديته بعد أسبوع أو أسبوعين ، بحيث يستطيع طلبة السنة التوجيهية أن يدركوا أسرار تلك المؤلفات قبل الامتحان

وأنا أعهد الرجاء الذي وجهتُه إلى أصدقاء الرسالة في السنة الماضية ، وهو التفضل بمشاركتي في أداء هذا الواجب ، رعايةً لحقوق أولئك الأبناء

أما الذين فازوا في مسابقة العام الماضي فلهم منا أطيب التهاني ، ثم أصدق الرجاء في أن يظلوا أمناء للحياة الأدبية ، ولو اتجهوا إلى العلوم والرياضيات . والله عزّ شأنه ولي التوفيق .

زكي مبارك

الامتحان أمانة ، وأن ابنه ضعيف كسلان لا يجوز نجاحه ، كنت اللوم العاتب ، لأنك لم تحفل « بحقوق الضيافة » !

* * *

والضيف يزورك حينما يحلو له لا حين يحلو لك ، ويبقى ما طاب له البقاء عندك ، ولا شأن له بفراغك ولا بشغلك ، ولا بضيق وقتك ولا بتعب أهلك ، ففي الغداة تجوز الزيارة ، وفي الضحى وعند الزوال ساعة الغداء ، وفي الظهر وقت الراحة ، وفي الأصيل وفي الليل . وقد يصل الزائر هذه الأوقات كلها بعضها ببعض ، فيشرفك بزيارته من الصباح ويلبث (يؤنسك) إلى وقت النوم ، وقت منامه هو لا منامك أنت ، وربما زارك أقرباؤك ، أو أقرباء أقربائك بنسائهم ورجالهم وأطفالهم ؛ وأقاموا عندك (صلة للرحم) أياماً وليالي ، ونغّصوا عليك عيشك ، وأفسدوا نظام دارك ، وأنت مضطر إلى السكوت لا تستطيع أن تقول شيئاً يمس (حق الضيافة) . وربما زارك الزائرون في محل عملك ، فشغلوك عنه وأكسبوك غضب رؤسائك ، وسخط زملائك

* * *

ولقد كان الكرم والشجاعة عماد الأخلاق عند العرب وشعارها وجماع أمرها ، لمكان البداوة من حياتهم ، فقد كانوا يعيشون في قفار قاحلة وقرى كالقفار ، لا فندق فيها ولا مطعم ولا خان ، وما للنازح فيها عن داره إلا أن ينزل ضيفاً على كريم يؤويه ويقريه ، ولم يكن في بلادهم شرطة ولا نيابة ولا سجن فلم يكن للرجل إلا سيفه يعتصم به ، فتعودوا الشجاعة والكرم حتى صار ذلك طبعاً لهم وخلقاً ، وبالغوا فيهما وجانبوا القصد ، فبلغوا التبذير وقاربوا التهور ، وكان عذرهم في ذلك أن الرجل منهم يطعِم حتى يطعَم ، ويقري الطارق الغريب كي يُقرَى هو طارقاً غريباً ، واستمر ذلك إلى الإسلام ، بل لقد بولغ فيه بعده حتى أتى القوم بهذه العجائب التي نقرأ أخبارها في الكتب . وانتهى ذلك إلينا فنشأنا على تقديس (حق الضيافة) وتقديمه على سائر الحقوق ، ورفعه مكاناً علياً لا يناله النقد ولا التقويم ، واتهام من يقول فيه مثل مقالتي باللؤم والبخل . لذلك أقدمت عليها متردداً يدفعني إليها أننا في مطلع حياة جديدة يجب في مثلها تمحيص الأخلاق والعادات وتقويمها والإبقاء على النافع منها وطرح ما لا فائدة منه بعد ما تغير الزمان ، ولا يكون ذلك إلا بالخروج من ربقة التقليد الذي لا يفيد ، ومنه تقليد أجدادنا الأولين في هذا الكرم القبيح الذي ذمه الله وسماه تبذيراً ، وجعل أهله إخوان الشياطين ، والقصد في الأمر والتوسط فيه ، ووضع الأمور في مطارحها ولو أن حاسباً مستقرياً نظر فيما ينفق عندنا في كل سنة على الولائم والأعراس والمآتم من الأموال لهاله الحساب ، ولرأى أن هذه الأموال التي تنفق فيما لا طائل تحته ، ولا موجب له إلا التقليد الضار ، يمكن أن ينشأ بها من المدارس والمصانع ما يرفع أمتنا درجات في سلم الارتقاء في آن قريب ، فضلاً عما يكون فيه من راحة البال ، واضطراد الأعمال ، ودفع المكاره التي ذكرت أمثلة عليها في مطلع هذه المقالة

وإذا كانت الحاجة هي التي علمت أجدادنا هذا الكرم ، فأي حاجة تدفعنا إلى الاستمرار عليه ؟ وما هو الضرر الذي ينال الضيف إن قلت له : أنا الآن مشغول فزرني إن شئت في وقت آخر ؟ ولم نخاف من ذلك وهو من آداب ديننا ، وقد كان من خلائقنا قبل أن يتخلق به الإفرنج ؟ وماذا يضر الأهل والأقربين أن يهنئوا بالمولود فلا يشربوا (الكراوية) ، وأن يحضروا (العرس) فلا يأكلوا الرز واللحم والبقلاوة ، وما هم في صحراء كصحراء العرب يحتاج فيها إلى القِرى، ولا هم جياع قد حضروا للطعام ، وليس المقصد إلا الاجتماع وقد حصل ؟ لقد خبرني صديق صادق مطلع أن نفقات عشر ولائم فقط من أوسط ما يكون في الأعراس أو المآتم تكفي لفتح مدرسة ابتدائية تتسع لمائتي تلميذ ، فما قولك بنفقات الولائم كلها وسكاكر الأعياد وهدايا الولادة والعرس ؟

* * *

أنا لا أرتقب من الأمة أن تقرأ هذه المقالة وتنام ليلتها فتصبح وقد نبذت هذه العادات وحددت آداب الزيارة ، وتنكبت سبيل التبذير ، فإن هذا ما لا يكون ، وإنما أرتقب أن أجد من القراء من وهبه الله الجرأة في الحق ، والرغبة في الإصلاح فيسن للناس سنة (في هذا الباب) حسنة يكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، كما صنع في دمشق شيخها الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ، وعادات الإفرنج في الزيارات والولائم أصلح في الجملة مما نحن عليه اليوم ، وتقديرهم للوقت أشد ، وهذا كله

من آداب الإسلام ، والسلف كلهم كانوا على مثله، فلنقتبسه عن الأفرنج إذا كنا لا نتبع فيه سلفنا الصالح ، ولنجعل للزيارة آداباً وأوقاتاً ، ولنعلم أن (حق الضيافة) لا يقدم على حق المواعيد ، ولا حق العمل ، ولا حق الأهل ؛ وأن ردّ الضيف أهون من احتمال الأذى ، وإخلاف الوعد ، وترك العلم ، وإضاعة الأشغال ولنجعل إمامنا قول الله جل وعز « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » . صدق الله العظيم

علي الطنطاوي

نشيد الانتقـــام

شاعر الجرمان الأعظم

لأستاذ جليل

ألا إن قصيداً عبقرياً يصوغه (أبو محرز خلف) راوية العرب ومبدع تلك الطائفة من عبقرياتهم ، ويختاره (أبو تمام حبيب ابن أوس الطائي) أكبر شعراء العرب ومختار تلك الدواوين[(١)] الفائقات من أشعارهم ، ويطلع عليه (ولفغنغ غوث) أعظم شعراء الجرمان ومفكريهم فيروقه ويطربه بل يبهره فينظمه ، وإنما يعرف العبقري العبقري — لحقيق جد حقيق بالرواية في (الرسالة) كتاب العرب، وديوان العلم والأدب . فخذوا هذا النشيد ، وخذوا هذي السطور في ابن غوث

وقد نقلت الشرح لهذه القصيدة في ديوان الحماسة وأضفت إليه ما لم يفسره التبريزي وأبو العلاء ، وما رأيت فائدة في إيراده راجعاً في ذلك إلى هذه الكتب : المصباح ، الإفصاح ، الصحاح التاج ، اللسان ، المخصص ، النهاية ، الفائق ، الأساس ، تهذيب الألفاظ ، كامل المبرد ، بلوغ الأرب ، مجمع الأمثال ، كتاب سيبويه ، شرح المفصل ، شرح الكافية ، مبهج ابن جني ، خزانة الحموي ، شرح المتنبي للمكبري ، شرح شواهد سيبويه ، شرح المقصورة الدريدية

والمأمول أن تكافأ (الرسالة) بما تصنع فيكاف الأساتذة الكرام في كل إقليم عربي الطلاب في أعلى صف ابتدائي وفي الصفوف الثانوية ، وفي الصفوف في الكليات — إستظهار (نشيد الانتقام) . وإنه لمن الكفر في دين الأدب ألا يحفظ شعراً عربياً أدهش شاعرَ الدنيا — جميعُ أدباء العرب

***

نشيد الانتقام

قال ثابت بن جابر[(١)] :

(إن بالشِّعب الذي دون سَلعٍ   لقتيلاً ، دمُــــه ما يُطَلُّ)

(الطل) مطل الدم والدية وأبطالها . دمه لا يذهب هدراً

قلت : (الشعب) الطريق في الجبل ، والجمع الشعاب

(خلّف العبء عليّ وولّى   أنا بالعبء له مُستقِل)

(العبء) الثقل ، والمراد به ههنا طلب دمه . قلت : أقل الشيء واستقله : رفعه وحمله . ومن المجاز هو لا يستقل بهذا الأمر : لا يطيقه .

(ووراء الثأر مني ابن أخت   مَصِعٌ ، عقدته ما تحل)

(المصع) الشديد المقاتلة ، الثابت ههنا .

قلت : يقال : إنه لمصع بالسيف . والمماصعة المجالدة بالسيوف ، والمجالدة : المضاربة

(مُطرقٌ يرشح سَمًّا كما أطـ   ـرق أفعى يَنفثُ السم صِل)

قلت : أطرق : أرخى عينيه ينظر إلى الأرض ، ورجل مطرق : كثير السكوت . وفي حديث أم سلمة : نُهش الرقشاء المطرق . (الصل) الحية الدقيقة الصفراء . يشبه الرجل بالصل إذا كان داهية ، قال النابغة :

ماذا رُزئنا به من حية ذكر   نضناضة بالرزايا ، صل أصلال

(خبرٌ ما نابنا مُصمئِلٌّ   جلّ حتى دق فيه الأجلُّ)

(مصمئل) : شديد

---

(١) ديوان الحماسة أحدها ، ومن دأب أبي تمام في هذا الكتاب أن يختار له القطعات ، وقد يأخذ من القصيدة الطويلة بضعة أبيات ، ولم يثبت إلا ثلاث قصائد كاملة لم يحذف منها شيء ، قصيدتنا هذه إحداها ، ولا ريب في أن أبا تمام رأى فيها ما رآه الشاعر الجرماني الأعظم ، ومعلوم أن قسمة حبيب من العبقرية ليست قليلة

(١) هو تابط شرا . وتعزى القصيدة إلى ابن شقيقته . . . السيد (الشنفرى) والخال وابن الأخت كلاهما في الشعر والغزو بطل . . .

(بزّني الدهر – وكان غشوما – بأبيٍّ ، جاره ما يُذلّ)

(بأبي) الباء دخلت للتأكيد زائدة ، ويجوز أن يكون عدى (بزني) بالباء لما كان معناه فجعني ، فيكون من باب ما عدى بالمعنى دون اللفظ

قلت : بزه غلبه وغصبه ، وبز الشيء : انتزعه ، وأصل البزة (أي اللباس) من بززت الرجل أبزه إذا سلبته ، فسمى اللباس بما يؤول إليه من السلب ...!

(شامس فى القُرّ حتى إذا ما ذكت الشعرى فبردٌ وظل)

أي هو كريم ، وشامس أي ذو شمس ، يعنى أن من لجأ إليه فى القر وجده كالشمس التى تدفىء المقرور ، ومن لجأ إليه فى القيظ وجد لديه برداً وظلاً

قلت : الشعرى : كوكب نير ، طلوعه فى شدة الحر (ذكت) اشتد حرها ومراده طلوعها . وذكت الشمس ذكاء ، ومنه قيل لها ذُكاء وللصبح ابن ذكاء لأنه من ضوئها ، واشتقاق ذُكاء من ذكو النار وهو تلهبها

(يابسُ الجنبين من غير بؤس وندى الكفين ، شهم مُدل)

يريد أنه يؤثر بالزاد غيره على نفسه ، ومن عادتهم التمدح بالهزال . (الشهم) الذكى الحديد (المدل) هو الواثق بنفسه وآلاته

قلت : (البؤس) : الشدة والفقر (الشهم) الذكى الفؤاد والشهم السيد النافذ النجد

معنى (يابس الجنبين من غير بؤس) – كما أراه – أنه يتفحل ويخشوشن – غير مفتقر – كلفا بالرجولية والفحولة ومقتا للتخنث والتأنث والترف . وهل يفسد المرء بل الأمة كلها جماء إلا الترف ، إلا فرط التنعم والدعة . وأقوال ابن خلدون وغيره فى هذا المعنى مشهورة

كتب عمر (رضى الله عنه) إلى أهل حمص لا تَنبَّطوا فى المدائن ، ولا تعلموا أبكار أولادكم كتاب النصارى ، وتمعززوا ، وكونوا عربا خُشُنا

(لا تنبّطوا ...) أي لا تتشبهوا بالأنباط فى سكنى المدائن والنزول بالأرياف ، أو فى اتخاذ العقار واعتقاد المزارع ، وكونوا مستعدين للغزو ، مستوفزين للجهاد (الأبكار) الأحداث (تمعززوا) من المعز وهو الشدة والصلابة . وقد نهى (رضى الله عنه) عما نهى عنه لأن القوم وقتئذ بعوث لإبلاغ الرسالة ، فاليوم فى حمص وغداً فى الصين أو الأندلس

أين عمر ، أين أبو حفص عمر ، أين تلميذ محمد ؟!!

(ظاعنٌ بالحزم حتى إذا ما حل حل الحزم حيث يحل)

(غيث مُزنٍ غامرٌ حيث يُجدى
وإذا يسطو فليث أبَلّ)

(الأبل) المصمم الماضى على وجهه لا يبالى ما لقى

(مُسبِلٌ فى الحى أحوى ، رفل
وإذا يغزو فسمعٌ أزلّ)

(مسبل) من أسبال الإزار والبرد لأنهم يصفون ذا النعمة بذلك، وإنما يحمدون ذلك فى حال الدعة والأمن ، فأما فى الشدائد وعند الحرب فإنهم يمدحون الرجل بالتشمير . (الرفل) الطويل الذيل . (أحوى) الذى به حوة ، وهى سواد فى الشفتين محمود ، أو مسبل شعراً أحوى أي أسود لأنهم كانوا يوفرون لممهم ، ويصفون الشاب بحسن اللمة . (أزل) الزلل خفة العجز ، وذلك خلقته

قلت : السمع سبع مركب لأنه ولد الذئب من الضبع ، وفى المثل : (أسمع من سمع) ويقال أيضاً : (أسمع من السمع الأزل) – : (أى الخفيف الوركين ، قليل لحم العجز والفخذين) لأن هذه الصفة لازمة له كما يقال للضبع العرجاء ، قال :

تراه حديد الطرف أبلج واضحاً أغر طويل الباع ، أسمع من سمع

وليس فى الحيوان شيء عَدْوه كعدو السمع لأنه أسرع من الطير ، يقال : وثبات السمع تزيد على عشرين أو ثلاثين ذراعاً ..

(وله طعمان أرْيٌ وشَرْيٌ وكلا الطعمين قد ذاق كل)

(الأرى) يراد به العسل ، وإن كان فى الأصل عمل النحل

قلت : (الشرى) : الحنظل ، وفى المقصورة الدريدية :

لىَ التواء إن معادى التوى ولى استواء إن مولى استوى
طعمىَ شرى للعدو تارة والراح والأرى لمن ودى ابتغى

(يركب الهولَ وحيدا ولا يصحبه إلا اليمانى الأفل)

قلت : سيف أفل : ذو فلول ، وفلوله كسور فى حده .

وسيف أفل : ذم لما به من الخلل الظاهر، ومدح لما ضرب به كثيراً.

سأل عروة بن الزبير عبد الملك أن يرد عليه سيف أخيه عبد الله ، فأخرجه فى سيوف منتضاة ، فأخذه عروة من بينها ، فقال له عبد الملك : بم عرفته ؟

فقال : بما قال النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

(وفُتُوٍّ هجّروا ثم أسْروا ... ليلهم حتى إذا انجاب حلّوا)

(فتو) جمع فتى (هجروا) ساروا في الهاجرة . يريد أنهم وصلوا السير بالسرى

(كلُّ ماضٍ قد تردى بماضٍ ... كسنى البرق إذا ما يسل)

ارتدى بسيفه ، وتردى ، واعتطف به ، ويسمى السيف الرداء والمطاف

قلت : (السنى) : الضوء . كل رجل ماض قد تردى بسيف ماض .. (الماضي) الجسور المقدم ، والماضي الأسد لجرأته والسيف لنفاذه في الضريبة . مضى السيف مضاء قطع

(فأدركنا الثأر منهم ولما ... ينج مِلْحيين إلا الأقل)

قلت : (ملحيين) من الحيين ، حذف النون لسكونها وسكون اللام من الحيين كما قالوا في بَلْعنبر وبلحارث — يريدون بني العنبر وبني الحارث. — ونحو من هذا قول قطرى :

غداة طفت عَلْماء بكرُ بن وائل ... وعجنا صدور الخيل نحو تميم

أراد على الماء ، ولا يقولون مثل هذا في بني النجار ؛ لأنهم لو قالوا : بَنْجار لحذفوا النون ، وقد أعلوا اللام بالأدغام ، فكان ذلك إجحافاً بالحرفين

ومن طريف ما وجدته في باب الاختصار أو الاختزال ... في الألفاظ ما ورد في حديث ابن مسعود (رضى الله عنه) : أن امرأة ابن مسعود سألته أن يكسوها ، فقال : إني أخشى أن تدعى جلباب الله الذي جلببك به !

قالت : وما هو ؟

قال : بيتك[1]

قالت : أجِنّك من أصحاب محمد تقول هذا ... ! !

أجنك أصله من أجل أنك أو لأجل أنك

(فاحتسوا أنفاسَ نوم فلما ... هوّموا رعتهمُ فاشمعلّوا)

(اشمعلوا) جدوا في المضى ، رجل مشمعل أي جاد خفيف

قلت : حسا المرقة واحتساها وتحساها . (النفَس) الجرعة . ومن المجاز احتسوا أنفاس النوم ، (هوموا) إذا كان النوم قليلاً فهو التهويم . وفي حديث رقيقة : بينا أنا ناعمة أو مهومة : التهويم أول النوم وهو دون النوم الشديد :

(فلئن فلّت هذيلٌ شباه ... لبما كان هذيلاً يفلّ)

(الشباة) حد الشيء ، إن كانت هذيل تمكنت منه فكسرت حده فهو بما كان يؤثر من قبل في هذيل

قلت : في قصيدة أعشى باهلة التي يرثي بها المنتشر :

إما يصبك عدو في مُناوأة ... يوماً فقد كنت تستعلي وتنتصر

إما سلكت سبيلاً كنت سالكها ... فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر

في مناوأة : يقول في وتر

(وبما أبركها في مُناخ ... جعجعٍ ينقب فيه الأظل)

(الجعجع) مناخ سوء ، وهو الأرض الغليظة (الأظل) باطن الخف (ينقب) يحفى . والمراد فيما كان ينال منهم ويحملهم على المراكب الصعبة

قلت : (المناخ) أصله الموضع الذي تناخ فيه الإبل . وأناخها : أبركها فبركت . واستناخت بركت ، ومن المجاز : هذا مناخ سوء : للمكان غير المرضي

(وبما صبّحها في ذَراها ... منه بعد القتل نهب وشلّ)

قلت : (ذراها) مأواها ، مكانها . الذرى كل ما استترت به ، يقال : أنا في ظل فلان وفي ذراه ، أي في كنفه . (الشل) : الطرد ، ومن فلان يشلهم بالسيف أي يكسؤهم — يتبعهم ويطردهم —

صليت مني هذيل بخِرق ... لا يملّ الشر حتى يملوا

قلت : الخرق : السخي الكريم الجواد يتخرق في السخاء ويتسع فيه . والكريم الجواد شجاع ، والشجاعة أخت الكرم ، والخرق : الفتى الكريم الخليقة

(ينهل الصعدة حتى إذا ما ... نهلت كان لها منه عل)

(الصعدة) : القناة تنبت مستوية ، وجمعها صعدات ـ بفتح العين ـ لأنها اسم ، ثم قيل في المرأة المستوية القامة والأتان الطويلة ... صعدة ، وهي وصف لها ، ويجمع حينئذ على صعدات — بسكون العين — لكونها صفة

قلت : النهل : الشرب الأول وقد نهل وأنهلته أنا ، والعل والعلل : الشربة الثانية ؛ وقيل الشرب بعد الشرب تباعاً ، ومن المستعار علّه ضرباً أي تابع عليه الضرب

(1) مقالة العلامة الدكتور منصور فهمي بك : (تساؤل بين التقاليد والتجديد) في (الرسالة) — قرئت وشكرت ، وإذا لم يهد القوم الزائغين الضالين — العلماء الهادون المهديون ، فمن يهدي ومن يرشد ومن يدل على طريق الخير !

(حلت الخمر وكانت حراماً وبلأى ما ألَمّت تحـــل)

(ما ألت) يجوز أن تكون (ما) صلة ، ويجوز أن تكون مع الفعل بعده في تقدير المصدرية . (بلأى) ببطء . ألت حلالاً أو إلماماً حلالاً (الإلمام) الزيارة الخفيفة ، وتوسع فيه فأجرى مجرى حصلت عندى

قلت : في حديث أم أيمن (رضى الله عنها) فبلأى ما استغفر لهم، أى بعد جهد ومشقة وإبطاء. ويقولون : لأياً عرفت . وبعد لأى فعلت . قال زهير :

فلأياً بلأى ما حملنا وليدنا على ظهر محبوك ظماء مفاصله

نصبه على المصدر الموضوع موضع الحال ، والتقدير حملنا وليدنا مبطئين ملتئين . (المحبوك) الشديد الخلق (الظماء) القليلة اللحم ، وهو المحمود منها ، وأصل الظمأ العطش

قالوا : إن من عادتهم تحريم الخمر على أنفسهم حتى يدركوا ثأرهم ، قال امرؤ القيس :

حلت لى الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل

فاليوم أشرب غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل

يقول هذا حين قتل أبوه ونذر ألا يشرب الخمر حتى يثأر به ، فلما أدرك ثأره حلت له

اشرب : سكنت الباء ضرورة ، ومن رد هذا ينشد : فاليوم أسقى أو فاليوم فاشرب (الواغل) الداخل على الشُرْب ولم يُدع

فاسقنيها يا سوادَ بنَ عمرو إن جسمى بعد خالى لخل

(الخل) المهزول . (سواد) رخمه عن سوادة ، ولك أن ترويه : يا سواد بن عمرو

قلت : في (يا زيد بن عمرو ، ويا هند ابنة فاطمة) يجوز في زيد وهند وجهان : الضم على الأصل والفتح للاتباع ، وحق الصفة أن تتبع الموصوف ، وههنا قد تبع الموصوف الصفة ، والفتح يختار ولا يجب ، وقد ذهب بعضهم إلى وجوبه

هذا البيت يذكرنا ببيتين في (الجناس المنوى) لأبي بكر ابن عبدون ، فقد قال وقد اصطبح بخمرة ترك بعضها إلى الليل فصار خلاً :

ألا في سبيل اللهو كأس مدامة أتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة

وأمست كجسم الشنفرى بعد ثابت

بنت بسطام بن قيس كان اسمها (الصهباء) والشنفرى قال : (اسقنيها ... البيت) والخل هو الرقيق المهزول فظاهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران في صهباء وصهباء ، وخل وخل ، وهما في صدر البيت وعجزه . والجناس المنوى المضمر هو أن يضمر الناظم ركنى التجنيس ، ويأتى في الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه ، فإن تعذر المرادف أتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى كقول أبي بكر السابق ، وهو أحسن ما سمع من هذا النوع

أنا ممن يقول : عوذٌ بالله من هـذا (البديع) وأهله ، وما سطرت ما سطرت إلا إكراماً لتأبط شراً وابن أخته الشنفرى وخلف الفرغاني وغوث الجرماني

(تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لهـا يستهل)

استعار الضحك للضبع ، والاستهلال للذئب ، وأصل الهال والاستهلال في الفرح والصياح

(وعتاق الطير تغـدو بطانا تتخطاهم فـا تستقـل)

روى : تهفو بطانا وهفت تهفو بمعنى تطير ، يقال : هفت الصوفة في الهواء : إذا ارتفعت . يعنى بعتاق الطير أكلة اللحمان وعافية الجيف

قلت : العتيق : الخيار من كل شيء : التمر والماد والبازى ، وعتاق الطير الجوارح منها ، والجوارح من الطير والسباع ذوات الصيد لأنها كواسب أنفسها من قولك : جرح واجترح الواحدة جارحة . (بطانا) ممتلئة البطون . (تتخطاهم) تخطو عليهم وتتخطى الناس واختطاهم ، ركبهم وجاوزهم . (تستقل) استقل الطائر في طيرانه : نهض للطيران وارتفع في الهواء ، واستقلت الشمس في الهواء : ارتفعت وتعالت

* * *

تم القصيد العبقرى ، وكل شرحه الذى رجعت فيه إلى ما سميت في المقدمة ، وسأنشر الكلمة الموجزة في ناظمه بالقسان الجرماني في الجزء المقبل إن شاء الله تعالى

(***)

ناحية من طاغور

يجب أن نفهمها نحن ...

للأستاذ حسين مروة

لم ترتعش روحي ارتعاشة الجزع في تلك اللحظة وحدها: لحظة أذاع الأثير نبأ وفاة طاغور ، بل قد سرت فيها الرعشة كوجة الكهرباء منذ استطار في العالم أن طاغور يعاني آلام المرض الخطير ، إذ اختلج في إحساسي — حينذاك — أن هذه الإنسانية الكاملة التي تجتمع كلها في شخص هذا العظيم ، قد أشرفت على ساعة الانتقال من دنيانا هذه إلى دنياها الجميلة في ملكوت الله ، حيث تبلغ روح طاغور قمة الفرح الأسمى التي نشدتها بالحب الإلهي ، وبالتأمل في جمال الأكوان التي (تحلها) روح الله .

قد اختلج في إحساسي — حينذاك — أن إنسانيتنا المسكينة تكاد تلتهمها لجة اليأس بانقطاع هذا الخيط الجميل من نور الأمل الذي يمتد إليها من صوت طاغور .

وقد اختلج في احساسي — حينذاك — أن أرضنا المعذبة تكاد تفقد فضلة إيمانها بالعدل والحق والخير ، بانطفاء هذا القبس الوهاج من إيمان طاغور .

وقد اختلج في إحساسي ، كذلك ، أن ناس هذا الجيل تكاد تسكت في جوانب ضمائرهم أصداء هذه الأنشودة الرخيمة التي يُبترعها قلبُ طاغور رحمة ومحبة ودعوة صالحة للسلام ، فلا تتجاوب في ضمائرهم — من بعدُ — إلا أصداء أنشودة واحدة تتعالى في جوانب هذه الأرض من كل صوب ، يوقّعها قلبُ ماردٍ جبار يحدو بالإنسانية إلى هاوية الخراب والدمار : تلك أنشودة الحرب التي تجلجل اليوم في الضمائر أكثر مما تجلجل في الآذان .

ويا سرعان ما صدق القدر كل هذا الذي اختلج في إحساسي منذ تأذن الأثير باشتداد وطأة المرض على جسم طاغور ، ويا سرعان ما أزفت لحظة القدر ، فإذا هذا الإنسان العظيم يصعد إلى القمة العليا لينعم بحبه في كنف الحبيب الأعلى ، تاركا هذه البشرية تزحف في السفح الرهيب بين الآثام والأرجاس كما تزحف الحشرات الدنيا في الأقذار والأنجاس .

وبعد : لقد مات طاغور ، فمن هو طاغور ؟

أهو شاعر ؟ أجل : ولكن شاعر يتغنى بأشواق الروح ليطهر أشواق الجسد ، ويعلن نداء الخير ليسكت صرخة الشر ، ويشيد بجمال الموت ليسمو بجمال الحياة ، ويهدهد أحلام القلب ليزين جلال العقل ، ويعقد أفراح الأمل ليهدم أبراج اليأس

أهو فيلسوف ؟ نعم : ولكن فيلسوف يتسامى إلى ما وراء الطبيعة لا لكي يهجر بيت الطبيعة ، بل لكي يستجلي أسرارها على هدى من الإشراق الإلهي ، ويستخرج كنوزها بعون من القدرة العليا المبدعة ، ويستكشف فضائلها وخيراتها على ضوء من صفاء الروح ، وسمو النفس ، وبساطة الفطرة ، ووضوح العقيدة ، وحرارة الإيمان ، وهذه هي خلاصة فلسفة الشرق القديم مجلوَّة بروح جديدة ، هي روح طاغور الصافية ، الطليقة ، السمحة

أهو صوفي ؟ أجل : هو كذلك ، ولكن أية صوفية هذه التي يلبس « جبتها » طاغور ؟

هي لون جديد في دنيا التصوف ، لون محبب للنفس ومحبب للعقل معاً ، لأنها صوفية جميلة أنيقة مترفة ، لا تتقشف ولا تتزهد ولا تتزمت ، وهي — حين تسمو بروح طاغور عن دنيا البشر لتفنيها في ذات الله فناء مطلقاً — لا تذهلها نشوة الفناء عن آلام بني الإنسان وشقاء أبناء التراب ، وإنما هي تستمد من حبها الإلهي السامي ، ومن نشوتها الروحية العليا — فيضاً من الحب للانسانية جمعاء ، بل هي كلما أمعنت في الاقتراب من الحبيب الأعلى أمعنت في الاقتراب من الإنسانية : تتلمس آلامها ، وتتحسس أحزانها ، وتتأثر مواطن شقائها ، ذلك لكي تقيم الدليل ، بأسلوب من إلهام الروح ، على أن رابطة الحب السامي بين الله والإنسانية هي أسمى روابط الحب ، وهي أهدى طرق النجاة من هذه الآلام والأحزان وهذه الضروب المختلفة من الشقاء التي يعانيها الإنسان على هذه الأرض ، ولكي ترى هذه الصوفية المذبة على وضح الإدراك الصحيح —

يجب أن تقف بفكرك لحظة عند هذه الأغنية من أغانى (البستانى) التى يستهلها طاغور بنداء يهتف به أن : « قد آذنت شمسك بالمغيب واشتعل رأسك شيباً ، فحسبك غناء وإنشاداً ، بل آن لك أن تصغى وتصيخ إلى داعى (الند) فتقول : لبيك »

فماذا يجيب طاغور هذا النداء ؟ :

« . . . من للقلوب وعواطفها ، وللعيون وأسرارها إذا أنا تبوأت من ساحل الحياة صخرة صماء ولبثت شاخصاً إلى أكمة الموت وما وراءها[1] »

أتراه الآن صوفياً كهؤلاء الصوفية المتزمتين الغارقين فى لذاذة الفناء بالله حتى لا يحسون الحياة ولا تحسهم الحياة ؟

لا : بل إنك لتراه إنساناً طفحت نفسه بالحياة حتى تملأها إحساساً ، وتملكته رسالتها إيماناً وعشقاً ، واتحد فيها حبه الإلهى وحبه الإنسانى معاً ، وما الحياة — فى فلسفة طاغور — إلا مجلى من مجالى الروح الإلهية العليا ، ومن هنا كان طاغور « الصوفى » منسجماً مع طاغور « القصصى » أو « الروائى » إذ تراه فى قصصه ورواياته يتناول صغائر حياة الناس ودقائقها يحللها ويجلوها صوراً إنسانية قوية الحركة والحيوية ، تثير فى النفس ألواناً من العواطف والإحساسات النبيلة . ومن هنا أيضاً كان طاغور « الصوفى » منسجماً مع طاغور « الشاعر » ذلك الانسجام نفسه ، فتصوف الرجل لا يعنى — فى الواقع — إلا الحب بأرحب معانيه : الحب المنبثق من نفس رحبة تحب الله لكونه هو الله ، وتحب الإنسان لكونه إنساناً ؛ وإنك إذا رأيت إنساناً يدعى الإغراق فى حب الذات الكلية العظمى ، ثم ينأى عن أخيه الإنسان ويضن عليه بحبه ؛ فقل : إن هذا لا يعرف الله حقاً ، ولا يحبه حقاً ، وإنما هو يحب نفسه ليس غير : يشفق عليها من العذاب الخالد ، أو يرجو لها النعيم الخالد

ومن هذا كله ترى طاغور الشاعر ، والفيلسوف ، والصوفى ، والقصصى — يأتلف وينسجم مع طاغور «المصور» و «الموسيقى» أجمل وأتقن ما يكون الائتلاف والانسجام ، ذلك لأن شاعريته الرحبة ، وفلسفته المشرقة ، وصوفيته السمحة ، وفنه القصصى الحى — ليست هى كلها سوى مظهر من مظاهر رسالته الروحية التى شاء الله أن يلقيها إلى إنسان تتسع نفسه للتعبير عنها بكل ضرب من ضروب التعبير الجميل

أما طاغور « الإنسانى » فهو هو نفسه ذلك الانسان المتعدد الجوانب ، المتنوع «الشخصيات» ، وليست إنسانيته «شخصية» مستقلة مندمجة فى « شخصياته » تلك ، لأن الروح الإنسانى الشامل هو مركز القوة لكل ناحية من نواحيه ، بل تكاد تنحصر عظمة هاتيك النواحى بما تمدها به هذه الإنسانية الكبيرة من معانى السمو ، والسماحة ، والصفاء ، والشمول ؛ وبكلمة واحدة : إن جوانب طاغور المتعددة ، وإن مواهبه المتنوعة لتجتمع كلها فى هذه « الإنسانية » الرحبة فتؤلف منها شخصية واحدة تشبه الكل البسيط الذى لا يتجزأ ولا يقبل التحليل والتفكيك

بقيت ناحية واحدة أغفلت ذكرها فيما سبق عمداً لأنها هى الناحية التى أقصد إليها فى عنوان هذا المقال ، ولذلك أردت أن أتحدث عنها منفردة لكى أبلغ القصد الذى أرمى إليه ، وإن كانت هذه الناحية ليست إلا وجهاً من وجوه الصفة الإنسانية الغالبة على روح طاغور ، وأعنى بهذه الناحية وطنية الرجل ، أو مفهوم الوطنية فى تفكيره ، وفى اتجاهه الروحى ، وهنا أحب أن أعترف للقارئ الكريم بأنى — حين أقدمت على التعبير عما أحسست من جزع لفقد هذا الإنسان العظيم — لم أطمع لدراسته دراسة « تستوعب نواحى عظمته جميعاً » ، وهى أبعد من أن تنال بهذه الكلمات الطائرة ، ولكننى أردت أن أستعين بهذا القدر الضئيل الذى أملك من الطاقة الروحية والذهنية على الوفاء بواجب ذى وجهين : وجه يتعلق بهذا العظيم الذى بلغ نشوته الكبرى بلقاء الروح الكلى الأعظم ، ووجه يتعلق بهذا الوطن العربى الذى يتقاضانا استخلاص العبرة ، واستخراج ناحية الانتفاع العملى من سيرة هذا العظيم ، وإذا كانت نواحى طاغور كلها موضع الانتفاع لكل وطن ، وكل قوم ، وكل فرد — فإن ناحيته الوطنية أشد لصوقاً بما نحن فيه اليوم من أحوال وظروف ، لأننا اليوم أحوج ما نكون إلى تفهم معنى الوطنية على ضوء جلى من تفكير وإلهام هذا الإنسان الملهم ، فلقد كادت تنقلب عندنا مقاييس الوطنية انقلاباً غريباً ، حتى كادت تكون الوطنية التى

(1) البستانى تعريب وديع البستانى ص ١٦

نفهمها هذه الأيام لا تمنى سوى ارتقاب واغتنام أقصر الفرص لكسب الرزق أو الشهرة أو الحكم ، سواء أكان فى ذلك خير الوطن أم جلب الضر إليه ، وسواء أكان فى ذلك تخفيف الشقاء عن أهليه أم إنزال الشقاء عليهم أضعافاً مضاعفة

إن طاغور « الإنسانى » الذى يشمل الإنسانية جماء بحبه وحنوه وصفاء قلبه ، هو نفسه طاغور « الوطنى » الذى أفاض على الهند من هذا الحب والحنو والصفاء ما عرفه الهنود أنفسهم وقدروه قدره ، وقابلوه بفيض مثله من الحب والإكبار والإيمان ، وهل هذا غريب ؟

كلا : ليس شىء أقرب للاتساق مع الطبيعة والمنطق من أن يكون طاغور الإنسانى وطنياً صادقاً ، عميق الإخلاص ، يؤثر مواطنيه بقسط كبير مما وهب قلبه الكبير من الحب الدافق والحنان الشامل ، ولكن ما هو مفهوم هذه الوطنية التى تتسق ذلك الاتساق مع نزعة إنسانية تتخطى الحدود والمعالم ، وتتخطى العرف والتقاليد والأوضاع ؟!

نترك الحديث عن وطنية طاغور وعن حدود هذه الوطنية فى ذهنه — إلى سيرته العملية أولاً ، ثم إلى آثاره الأدبية ثانياً

أما سيرته العملية فتتجلى فيها وطنيته من نواح عدة : فلقد عنى طاغور برفع مستوى شعبه العقلى والروحى والاجتماعى عناية تظهر آثارها العظيمة فيما أسس من مدارس لتطبيق تعاليمه الفكرية والروحية والاجتماعية : تعاليمه التى يؤمن بها إيماناً منقطع النظير ، وتتملكه رسالتها النبيلة تملكا يشبه من وجوه كثيرة حالات القديسين ، تلك التعاليم التى كانت فى عقيدته خير وسيلة لإنقاذ الشعب الهندى من صغاره وعبوديته ، ومن شقائه وبلائه ، ومن ضعته وانحطاطه ، ولعل أروع ظاهرة فى سيرته العملية هذه ، هى محاولته التخفيف من حدة التقاليد البرهمية التى كانت توسع شقة الفوارق والحواجز بين طبقات الشعب وطوائفه ، وأنبل مظاهر هذه المحاولة تأسيس طاغور مدرسة عالية لطائفة المنبوذين ليثقفهم تثقيفاً عقلياً وروحياً يغرس فى نفوسهم الاعتزاز بكرامتهم الإنسانية ، ويشعرهم بأقدارهم فى الوجود ، ولقد أفاد طاغور من هذه المحاولة أن بث فى روحية هؤلاء المنبوذين الخامدة لهباً من روحه كاد يقربهم منزلة من الطبقات الأخرى المترفعة عنهم ، وفى هذه المحاولة — كما ترى — مظهر رائع للوطنية الحق ، بمقدار ما فيها من نزعته الإنسانية النبيلة ، وفى سيرته العملية مظهر آخر للوطنية يتجلى فى دعوته إلى إخماد لهب الأحقاد بين المسلمين والهندوس ، وإطفاء ثائرة البغضاء بين جميع الطوائف التى تؤلف شعوب الهند ، ولقد كانت له فى هذا السبيل صيحات كريمة نافعة

فها أنت ترى أن الوطنية فى عرف طاغور ليست عملاً سلبياً مبنياً على الصراخ والتهويش والادعاء الفارغ والتشدق بالألفاظ الفخمة المجنحة ، بل هى عمل إيجابى صامت يبنى وينشئ ويتناول بالبناء والانشاء عقل الأمة وروحها قبل كل شىء ، لأن الأمة فى رأيه ليست أمة حقاً إذا لم تكن ذات عقل ناضج وروح سام ، وذات وحدة عقلية وروحية شاملة ، على أن تكون فى وحدتها العقلية والروحية مجتمعة على الإيمان بمثلها العليا ، إيماناً يلهب وجدانها بنزعة التأمل فى جمال هذه المثل الكريمة ، وبنزعة التقديس لمظاهر الألوهة فى هذا الكون العظيم

هذه أروع مجالى الوطنية فى سيرة طاغور العملية ، وهى فى ذاتها أمثلة عالية للاعتبار والاحتذاء ، وهى كذلك حدود واضحة لمعنى الوطنية الصحيح . أما ما تحدثنا به آثار هذا الرجل الأدبية عن مفهوم الوطنية فى ذهنه ، فحسبك أن تقف من ذلك على بعض رواياته التى يدير فيها الحوار على ألسنة أشخاصها مشبعاً بالآراء والأفكار السامية حول موضوع الوطنية وحدودها ، ولعل فى روايته « البيت والعالم » أعظم آرائه وأفكاره فى هذا الباب ، فلقد دارت هذه الرواية كلها حول هذه النقطة ، وهى حدود معنى الوطنية كما تستقر فى ذهنَىْ شخصين يختلفان كل الاختلاف بالاتجاه الفكرى وبالمزايا النفسية وبالنزعات الخلقية أما أحدهما « سانديب » ، فهو زعيم وطنى يثير حماسة الجماهير ببلاغة منطقه وبقوة إيحائه النفسى ، وبهذا الأسلوب نفسه ، يلهب حقد الشعب على الأجانب ، ويدفعه إلى مقاطعة بضائعهم ويغريه بإيذاء المواطنين المتخلفين عن تنفيذ تعاليمه بكل وسيلة من وسائل الإيذاء ، بل يغريه فى سبيل ذلك باستباحة كل جريمة وبارتكاب كل منكر ؛ وأما ثانيهما « نيكهل » ، فهو من راجات الهند ، مثقف ثقافة عالية ، ومهذب تهذيباً نفسياً سامياً محبباً ،

وبسمو تهذيبه هـذا استطاع أن يطهر نفسه من الأحقاد والأضغان ، وأن يحملها على الهدوء والصفاء والتسامح فى وجه الأزمات والرجات النفسية ، وفى وجـوه الأشخاص الذين يحدثون هذه الأزمات والرجات فى مجرى حياته ، وجاهد فى أن يطهر نفسه أيضاً من نوازع الأنانية العمياء التى تضحى بهناء الآخرين وشخصياتهم فى سبيل هناء وشخصية صاحبها ، ثم يصوره لنا طاغور رجلاً قوى السلطان على نفسه إلى غاية استطاع عندها أن يكون إنساناً سامياً حقاً ، ثم يصوره رجلاً وطنياً يحب هناء شعبه ورخاءه وصون كرامته ، ولـكنه لا يتبجح بوطنيته هذه ، بل يعمل لها بهدوء وصمت : ينشئ المعامل لتشغيل العمال وتوفير الحاجات الصناعية الوطنية ، ويقتنى لبيته الأثاث الوطنى ويتغذى الأغذية الوطنية ، ويستعمل أدوات الزينة الوطنية ، ولـكنه — مع كل ذلك — لا يحاول إيذاء الأجنبى بإخراج بضائعه من مقاطعته ، أو إحراقها كما يفعل « سانديب » ، ولا يحاول أن يقهر أحداً من مواطنيه على استعمال بضاعة معينة ، لـكى لا يكون فى ذلك حرج أو ضرر عليه ، وهو — من أجل هذا — يقف من حركة « سانديب » موقف التحفظ والحذر ، وقد يحاول أن يجادل « سانديب » فى أساليب حركته المنيفة ، مصطنعاً فى جداله الهدوء والمنطق الرزين ، مبتعداً فى هذا الجدال أيضاً عن التأثر بالعصبية لرأيه رغم إيمانه به كل الإيمان .

أما « سانديب » ، فيصوره طاغور على النقيض من صـورة « نيكهل » هذه ، إذ يُرينا نفسه تصطخب بدوافع ونوازع هائلة مخيفة ، ويرينا شخصيته لا تعتمد فى تزعم الحركة الوطنية إلا على بلاغة المنطق وقوة الاستهواء ، بل لقد صوره طاغور رجلاً خداعاً ماكراً يستبيح لنفسه السرقة باسم الوطنية ، ولا يجد حرجاً فى إغراء زوجة « نيكهل » بالتمرد على حياتها الزوجية الوادعة المطمئنة ، المغمورة بسعادة الحب الجليل ، مستغلاً نزعتها الخيالية ليستفيد من أموالها ، يروى بها شهوات نفسه المتعطشة للزعامة لذاتها كغاية لا وسيلة ، وهكذا يستمر طاغور متتبعاً خطوات « سانديب » فى حركته الطاغية المنيفة حتى يستحل فى سبيلها خداع زوجة « نيكهل » ، وهدم هناءتها الزوجية ، وهدم أحلامها العظيمة التى بناها هو لها فى خيالها الملتهب ، وحتى يُنهى حياة هذه الأسرة الطيبة بفاجعة مروعة على حساب وطنيته المموّهة

بهـذا التصوير البارع يحدد لنا طاغور حقيقة الوطنية كما يرتضيها هو ، وكما يؤمن بها كوسيلة للعمل المنتج فى سبيل الأوطان ، ولعل هذا العرض يبقى ناقصاً إذا لم نشفعه ببضعة آراء وأفكار خطيرة أدارها على لسان « نيكهل » الذى يبدو لنا أنه هو الشخص المختار فى هذه الرواية لتمثيل آراء طاغور نفسه فى الوطنية ، وأنا أعرض هذه الآراء والأفكار لا لأجل إيضاح معنى الوطنية عند طاغور وحسب ، بل لأجل أن تكون أمثالاً عليا نؤمن نحن بها ، ونحفر لها مستقراً أميناً فى قرارات وعينا ، لعلها تكون عوناً لنا فى هذه الظروف والأحوال التى تحيط بنا اليوم :

قال (نيكهل) بعد أن أخرج المربية الأجنبية من قصره بتأثير ضغط الحركة الوطنية التى يقودها (سانديب) ، وقد شيعها بنفسه فى عربته فانتقدته الصحافة الوطنية المتطرفة لأجل ذلك من الانتقاد : « إنى أخدم بلادى ولكنى لا أعبدها ، فإنى أعبد الحق وهو أعظم من بلادى ، أما من يعبد بلاده كما يعبد الله فهو يسيء إليها ويتوهم أنه من المحسنين »

وكان نيكهل يجادل سانديب فى بعض آرائه الوطنية فقال له : « . . . أما حقيقة رأيى — الـكلام لنيكهل — فهى أن الذى لا يستطيع أن يتحمس لبلاده كما هى حقيقة ، والذى لا يستطيع أن يحب إنساناً لمجرد كونه إنساناً ، والذى يريد تأليه وطنه بالهتاف والهياج — فهو يحب الهياج أكثر مما يحب وطنه »

وحين شاع أن خزينة المهراجا قد سرقت جاء إلى (نيكهل) أستاذه الحكيم ، وفيما هذا يتحدث عن (سانديب) وأتباعه قال هذه الـكلمة العظيمة يعنى بها رجال الحركة المتطرفين : « لقد وضعوا الوطن حيث طردوا الضمير »

وقال (نيكهل) وهو فى نقاش مع (سانديب) :

« إنى أقول لك الحقيقة (ياسانديب) : إنك تجرح عواطفى حين تدعو الظلم واجباً ، وتطلق على البغى اسم الخيال الأدبى ، فليس العقل هو الذى يمنعنى عن السرقة بل الذى يمنعنى عنها عاطفة تدعونى إلى احترام نفسى »

أكتفي بهذا القدر لأن الإطالة قد بلغت حداً لم أكن أقصد إليه

أما بعد : فيا أيها الإنسان العظيم الناعم الآن بفرحة الحب الأسمى ، لقد بلغت رسالتك الجليلة ، وأسكرت الدنيا بترانيمك المترعة رحمة ومحبة ، ودعوة للسلام والألفة ، فمن حقك أن تهنأ الآن بلقاء حبيبك الأعظم ، ومن حقك على الدنيا هذه أن تذكر فضلك ، وأن تهتدي بهدى روحك العظيم يوم تصحو من هذا الجنون المطبق ، وهي لا بد أن تصحو يوماً .

(بغداد) حسين مروه

أدباء ومدرسون ! . . .

« حديث ذو شجون إلى وزارة المعارف وإلى الدكتور زكي مبارك . . . »

للأستاذ محمد سعيد العريان

تلطف الدكتور زكي مبارك فتناول في حديث الأسبوع الماضي موضوع « الترقية إلى المدارس الثانوية » ؛ وهو موضوع من حق صديقنا الدكتور زكي مبارك أن يتحدث عنه ، لأنه بسبيل من عمله الرسمي في وزارة المعارف ، وعمله الأدبي في مجلة « الرسالة » ؛ فليس من حق أحد أن يدهش للأسلوب الذي تناول به موضوعه ، أو الطريق الذي سلكه لإبداء الرأي فيه ؛ وإنه لمن الغبن أن يكون الدكتور زكي مبارك ملوماً على ما في حديثه ذاك من التناقض وفساد الحكم ؛ إذ كان يملي عليه الرأيَ حين يحكم شخصيتان لا تجتمعان على فكرة واحدة : شخصية زكي مبارك المفتش بوزارة المعارف ، وشخصية زكي مبارك المؤلف المحقق الأديب ؛ ومن أين لهاتين الشخصيتين أن تجتمعا على رأي وبينهما ما بينهما من الفوارق العقلية ، ولكل منهما مقياسه في موازين الأشياء . . . !

والموضوع الذي تناوله الدكتور زكي مبارك حقيق بالبحث والدراسة ، لأنه موضوع عام يتصل من قريب بشأن من أخص شؤوننا الأدبية ، إذ كان المعلم هو فكرة الشعب ، وأماني الغد ، ومستقبل الثقافة ، ولكن هذا الموضوع على عمومه يتصل بجانب من حياتي الخاصة يحرجني أن أتخذه موضوعاً للحديث ، ولعل كثيراً من الذين يقرءون لي في الرسالة منذ سنين ، لم يَدُرْ في خلد أحد منهم أن يسأل عن عملي الذي أتكسب منه ووظيفتي الرسمية التي أعيش بها قبل أن يُعرِّف بي الدكتور زكي مبارك . . .

ومعذرة إلى طائفة من القراء ، فإن الرأي العام في مصر وفي الشرق ما زال يقيس منازل الرجال على قدر منازلهم في مناصب الحكومة أو منازلهم في دولة المال !

على أنه لا مندوحة لي اليوم عن الحديث في موضوع كنت أتنكّبه فراراً من التهمة ، ولست أطمع بعد في كلمة عطف أو أخشى كلمة ملام ، فإني لقوي بنفسي عن استجداء العطف أو خوف الملام ، ومن وجد في نفسه الطاقة فليس له عذر من التقصير ؛ وليغضب من يغضب لنفسه أو للحق ، فليس بي إلى أحد حاجة ، وليس لي في سبيل الحق أن أخاف سطوة إنسان !

* * *

وأبدأ حديثي لأصحح للدكتور زكي مبارك قوله : « الترقية إلى المدارس الثانوية » فإن كلمة « الترقية » هنا لا تؤدي معناها اللغوي كما يفهمه أهل التحقيق ، وليس في نقل معلم من المدرسة الابتدائية إلى المدرسة الثانوية أي معنى من معاني « الترقية » وليس ثمة فرق بين معلم هنا ومعلم هناك ، لا في الدرجة العلمية ، ولا في العمل ، ولا في المال ، ولكن الفرق كل الفرق في التلميذ وفي المكان . . .

هذا حق يعرفه زكي مبارك « المفتش بوزارة المعارف » ، كما يعرفه وزير المعارف نفسه ، وكما يعرفه المعلمون جميعاً في المدرستين الابتدائية والثانوية ؛ ولكن لماذا ، لماذا — والأمر كذلك — تصر وزارة المعارف على تسمية هذه النقلة « ترقية » ؟ ولماذا يشكو طوائف من المعلمين فيطلبون حقهم في هذه « الترقية » ؟

جواب ذلك : أن هذه « النقلة » هي مظهر من مظاهر « الثقة العلمية » بالمعلم المنقول ، وهي « اعتراف رسمي » بأن لهذا المعلم أهلية لتعليم طائفة من التلاميذ أنضج عقلاً من إخوانهم في المدرسة الابتدائية ؛ وهذه « الثقة العلمية » وهذا « الاعتراف الرسمي » هما كل جزاء المدرس المنقول ، وهما حسبه وكفايته ؛ وأهل العلم دائماً هم أقنع الناس بالقليل !

... وقد سنت وزارة المعارف سنة منذ عامين : أن تُسبِّق بين المعلمين فى امتحان سنوى عام ، لتمنح أسبقهم ثقتها العلمية واعترافها الرسمى

* * *

لقد كثر ما تحدث المربون عن عيوب الامتحان ، واختلال ميزانه ، وجنايته على شخصية التلميذ ... أفلم تجد الوزارة — بعد تجارب السنين — وسيلة لاختبار كفاية المعلم غير الامتحان وقد قالت ما قالت فيه وسمعت ما قيل ؟

أليس لدى وزارة « المعارف » من وسائل « المعرفة » فى ذلك غير امتحان «المعلمين» ؟ بلى ! هكذا قالت وزارة المعارف منذ سنتين وما تزال تقول : الامتحان !

الامتحان ؟ بالله كيف صارت عيوبه حسنات ، واختلال ميزانه دقة ، وجنايته على « شخصية التلميذ » سبيلاً إلى تحديد « شخصية المعلم » ؟

ولكن لا علينا من ذاك ؛ فليس يعنينا ما تكون وسيلة وزارة المعارف إلى اختبار معلميها ، ولو كانت المباراة بين المعلمين فى حمل الأثقال ... !

ولكن ، لأى شىء سنّت الوزارة سنة الامتحان ؟

الوزارة تقول إنها تقصد من ذلك إلى استثارة القُوى والكشف عن « الكفايات المغمورة » ؛ هذا كلامها ؛ فما بالها تصر على امتحان ذوى القوى العاملة و « الكفايات المشهورة » إذا لم يكن القصد من الامتحان إلا الكشف أو الاستكشاف ؟

ما قيمة المصباح تشعله فى النهار والشمس طالعة ؟

وما عمل المظلة ترفعها على رأسك فى الظلام ولا مطر ولا غمام ؟

وماذا يقول المعلم يوم الامتحان إذا كانت مؤلفاته وأعماله الأدبية هى موضوع الامتحان ؟

* * *

هنا مشكلة أدبية عامة ، هى مشكلة « النفر الستة » الذين قَصَّر عليهم الدكتور زكى مبارك حديثه فى العدد الماضى .

ليت شعرى ما شأنك وشأنهم يا صديقى ؟ إنك لتعرف هؤلاء النفر الستة معرفة الرأى والنظر ، وتعرف كم أبلَوْا فى جهادهم للعلم منذ سنين ؛ وأراك لم تنكر أقدارهم العلمية والفنية على طول ما تعتّبتَ عليهم وتجنيت .

هؤلاء النفر الستة يا صديقى — وأنا منهم — لم يرجوا وزارة المعارف أن ترقيهم إلى المدارس الثانوية كما ظننت ، فإنهم أصدق نظراً من أن تخدعهم الفروق الصغيرة بين الأسماء فتحملهم على الرجاء والاستجداء ...

بلى ، نحن لم نطلب هذه « الترقية » ، ولم نَسْعَ لها ، ولا نعرف لها طعماً مما يمر فى الأفواه ويحلو ؛ وإن لنا من الإيمان بأنفسنا ومن الإيمان بمعنى الأدب ما يرتفع بنا عن ذلك المستوى ، ولكنا كتبنا لننبِّه وزارة المعارف إلى معنى أدبى كان ينبغى ألا تغفل عنه أو يغفل عنه القائمون بشؤنها ؛ — كتبنا لننبِّهها إلى أنها بما أكثرت من الحديث والنشر عن امتحان المسابقة ، ونتائج المسابقة ، قد ألقت فى وهم الناس أن معلم المدرسة الابتدائية ليس له من العلم مثل حظ المعلم فى المدرسة الثانوية ، وليس له تحصيله وكفايته .....

هذا المعنى يا صديقى يسوءنى ويسوءك ، ولكنه يسىء إلى وزارة المعارف أكثر مما يسوءنى ويسوءك حين يعرف الناس أن بين المعلمين فى المدارس الابتدائية طائفة من أهل التأليف والتحقيق يدوى صوتهم فى آذان الشرق العربى ويملأ حديثهم نوادى الأدب هنا وهناك ولا تكاد تحس بهم وزارة المعارف ..!

أى تهمة يا صديقى تنال وزارة المعارف فى صميمها ، وماذا يقول الناس عن كفايتها وحسن تقديرها للآثار العلمية ، وهى تجهل أقدار العاملين من معلميها وما أنتجوا من بحوث وما استحدثوا من فنون ؟

... هذا المعنى يا صديقى هو الذى رفعنا من أجله الصوت إلى وزارة المعارف — ووزيرُها من أهل التأليف والتحقيق — نطالب إليها أن ترد إلينا الاعتبار العلمى ، فتعترف بنا أدباء ومؤلفين ومحققين

ولكنك تقول يا صديق : « إن هذا الباب إن فُتح فسيتيح فرصاً كثيرة لأدعياء التأليف والتحقيق ... »

وأعيذك يا صاحبى أن تكون قصدتَ إلى المعنى الذى تشير إليه عبارتُك ؛ فأى عمل لوزارة المعارف إن كانت لا تدرك الفرق بين الدعىّ والأصيل من أهل التأليف والتحقيق ؟

ويذكّرنى قولك هذا يا صديقى كلمةً قالها لى الدكتور فلان

منذ بضعة أشهر ؛ قال : « لو كنتَ موظفاً فى مصلحة التنظيم لوجدتَ من وزيرها اعترافاً بجهودك الأدبى أكثر مما أنتَ واجدٌ اليوم فى وزارة المعارف ... ! »

* * *

على أن للمسألة يا صديقى وجهاً أخطر من ذلك وأبعد أثراً فى أدب الجيل ؛ فإن إنكار الفضل على « ستة نفر » استعملوا بجهادهم بين ألف ومائتى معلم فى المدارس الابتدائية ، جديرٌ بأن يُفقِد هؤلاء « النفر الستة » حلاوةَ الإيمان بمعنى الأدب ، ويردّهم آلات لا يعملون إلا « الواجب » ، الواجبَ الذى يُؤجَرون عليه بالطعام والشراب واللباس وزخرف الحياة ، وأعوذ بالله من سوء الخاتمة !

ومالى أبعد فى الظن وأقدّر وأتوقع وأترك الواقع الملموس ؟ ألستَ تعرف كما أعرف يا صديقى مَن الذى « يؤلف » أكثر الكتب المدرسية فى وزارة المعارف ومن الذى « يشرّفها » باسمه الكريم ؟ ... أحسبك لا تطالبنى بالتصريح بأكثر من ذلك ، لأنك لا تحاول أنت أن تنكره ولا أحاول أنا أن أخفيه ... ...

وتسألنى : ما لهذا وللمشكلة التى نعالجها اليوم وتلك قضية من قضايا الأخلاق وهذه مشكلة من مشا كل الأدب ؟

وأقول : إنه ما دام الاعتبار الأول عند وزارة المعارف فى الحكم على الآثار الأدبية هو « وظيفة المؤلف » فما بدٌّ أن يكون هناك تعاونٌ بين ذوى « العلم » وذوى « الجاه » شبيهٌ بالتعاون بين « رأس المال » و « جهد العامل » فى تكوين « شركة » من شركات « الربح والتثمير » !

أتريد أمثلة يا صديقى أم كفاك ما تعرفه وأعرفه مما لا تحاول أنت أن تنكره ولا أحاول أنا أن أخفيه !

ولكنى أراك لم تقتنع بعدُ بالعلاقة بين ما ذكرتُ وبين المشكلة التى نحن بسببها ؛ إذن فاعلم يا صديقى أن جرثومة ذلك الداء هى تلك « الأرستقراطية العلمية » التى تأبى أن تعترف بقيمة الإنتاج الأدبى لأحد من « صغار المعلمين » إلا ... إلا ماذا ؟ ... معذرة فقد نسيت !

أتُراك يا صديقى قرأتَ قصة « من أدباء الجيل[1] » ؟ نعم ، إنى أذكر ذلك ، فقد كانت موضوع حديث بيننا يوماً ، ولكنى أشير عليك أن تعود إليها فتقرأها مرة ثانية ، فلعلك واجدٌ فيها متاعاً ولذة يرفهان عنك بعض ما تجد من ثقل هذا الحديث !

* * *

وأعود إلى ما كنا فيه ، فأسألك يا صديقى : أترى حقاً وصدقاً أنه لا بد من امتحان « المسابقة » للترقى فى الوظائف حين تكون كفاية الموظف فى حاجة إلى دليل ؟ ...

ففى أى مباراة سبقتَ أنت حتى صرت « مربياً كبيراً » تحكم على أقدار « صغار المعلمين » ؟ وفى أى مباراة سبق فلانٌ وفلانٌ ليكونوا أعضاء فى لجان الامتحان وحكاماً فى مباريات المعلمين ؟ ...

وأبادر فأعتذر إليك وإلى فلان وفلان ؛ فما أردت أن أغض من أقداركم العلمية ، وإنكم لأدباء من أهل التأليف والتحقيق ...

... ولكنى رأيتك فى بعض ما ساقتك إليه شجونُ الأحاديث ، تنكر قيمة كل المقاييس العلمية إلا مقياس الامتحان ، فرأيت أن أعرف أين أنت هناك ؟ ...

أهذا ما تسميه الزهو البغيض ؟

اللهم إنى أستغفرك وأستهديك ، وأسألك إلى ما جنّبتنى من الكبرياء ، أن تزيدنى ثقة بنفسى ، ويقيناً بحقى ، وإيماناً بعملى ! ...

وإنه لعلى الرغم منى — يا صديقى — ألا تتهيأ لى العواملُ النفسية التى تسمح لى أن أقبل على الامتحان ، وإن كانوا : « فى أوربا وأمريكا يتقدمون إلى السابقات بعد الخمسين ، ولهم فى ميدان الجد الأدبى والعلمى مكان » ...

تسألنى : لماذا ؟

وأسألك : لماذا ؟

وتعرف وتسكت ، وأعرف وأغضى ، وتفترُّ الشفاهُ عن بسمات حيى تتراءى صورة فلان وفلان ... « وأنت تعرف ما أريد » !

محمد سعيد العريان

المدرس بالمدرسة الابتدائية

(١) الرسالة : العدد ٣٤٥ — ١٢ فبراير سنة ١٩٤٠

الوضع الصحيح
للاصلاح الاجتماعى فى مصر

للأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر

— ٢ —

ذكرنا فى العدد ٤١٨ من هذه المجلة الغراء أن الوضع الصحيح للاصلاح الاجتماعى فى مصر يقتضينا ألا ننظر إلى الفقر كمشكلة قائمة بذاتها ؛ لأنه — كما قلنا — نتيجة لمشاكل أخرى كثيرة . وعلى ذلك يجب علينا أن نبين مدى مساهمة تلك المشاكل فى خلقه ومضاعفة آثاره المحزنة . وهى كلها مشكلات اجتماعية خطيرة ملحّة . واستمرار وجودها واستفحالها يجعلها تتفاعل بعضها مع بعض ، وتنتج عصير الشقاء الذى تتجرع كأسه الأغلبية الساحقة من سكان هذه البلاد

والذين يتحدثون عن « الفقر » وحده يخطئون كل الخطأ ، إذ لا يحلمون إلا بإعادة توزيع الأراضى على جميع أفراد الشعب على السواء وملء جيوب الفقراء بالمال . وهو أمر مستحيل وضار من الوجهة الاجتماعية ومناقض للبداهة السليمة والقوانين السماوية كلها ومناف لمنطق الأشياء . فلو تحول الشعب يوماً ما إلى أغنياء بمثل هذه الطريقة لاضطرب المجتمع من جديد بعنف لتعيد الطبيعة توازنها الفطرى ، وعاد معظم الفقراء إلى ما هو أشد وأنكى من فقرهم الأول . فللطبيعة قوانين خفية تسرى من تلقاء نفسها وتحطم كل ما يقف فى سبيلها . والفقر ظاهرة طبيعية ، ولكنه عند ما يتجاوز حده يصبح ظاهرة اقتصادية اجتماعية .

وإذا كنا قد تحدثنا فى المقال السابق عن صلة الحالة الاقتصادية بالفقر ، فلنحاول اليوم أن نرسم صورة سريعة للصلة الوثيقة بين مشكلتى الجهل والفقر .

مشكلة الجهل فى مصر

كثير من الناس ما زالوا يخلطون بين الجهل والأمية ، ولا يفرقون بينهما . فالأمية ضد التعليم بمعناه الضيق . أما الجهل فهو عكس الثقافة التى تستلزمها الحضارة والتربية العامة للشعب . وهى أوسع معنى من التعليم وأشد لزوماً منه . فالنبى عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ، ولكنه كان مثقفاً ، نيّر الفكر ، واسع الإدراك ، ولهذا تمكن من الاضطلاع برسالته العظيمة . وكم من رأسماليين عالميين وعظماء ومخترعين دوليين معروفين لم ينالوا قسطاً وافراً من التعليم . ويقابل هؤلاء متعلمون ، ومنهم من درسوا فى الجامعات ، تراهم يتكلمون أو تقرأ لهم ما يكتبون فتشعر أن على شخصياتهم الباهتة سمات الجهل المطبق والمنطق السقيم . وعلى هذا يصح أن نقول : وكم فى المتعلمين من جهلاء !

وقد كان الغرض من التعليم فى الماضى هو تأهيل الشبان للأعمال الحكومية الآلية ، ولا شيء غير ذلك ، عند ما كانت تسيطر على دفة الحكومة والتعليم عقليات انجليزية ركزت بين أناملها تصريف الأمور ، وصار تبعاً لذلك الطلبة نسخاً متشابهة مكررة من أصل واحد ! ثم انتهى هذا العهد ، وظهرت فى الوجود نظريات جديدة تربوية نادت بوجوب الاهتمام بشخصية الفرد ، وإنماء ملكات الابتكار المودعة فى جهازه البشرى الدقيق . وقد تطورت تلك النظريات ، وصارت توائم بين حاجات الفرد وحاجات الجماعة التى لا غنى عن المحافظة عليها ، ولا مفر من تنسيق نشاط أفرادها مع زيادة نفعها لهم ؛ وبذلك صار التعليم تربية وثقافة حرة مرنة لا مجرد تلقين معلومات جافة ، وحشو الأدمغة بدراسات ميتة لا غناء فيها ولا طائل تحتها . وصارت التجارب العلمية والعملية الكثيرة التى تطبق اليوم فى أوربا وأمريكا توحى دائماً بالبرامج النافعة التى تكون أكثر انطباقاً على حاجات الفرد الغريزية والاجتماعية والمادية . وليس فى نيتى أن أعتدى على اختصاص الفنيين وأخوض فى شروح وفروق تلك النظريات التربوية الحديثة ، فأنا أمر عليها بقدر ما يسمح لى بحث اجتماعى كهذا ، وإنما أذكر أن هدف التربية الحديثة هو الإكثار من الكفايات الاجتماعية . وهى — أى الكفايات الاجتماعية — وحدها القادرة على الحياة والكفاح وكسب القوت المحترم الشريف فى عصر مضطرب بالشهوات الماحقة والصوالح المتعارضة ، والنظريات العلمية المتجدّدة على الدوام . والتربية

الحديثة توحى بالتعليم الذى يناسبها ولا يعطل آثارها . وهى إذا سارت فى مجراها العلمى المنتج كانت أقوى درع ضد الفقر ، وأيسر السبل إلى الثروة والغنى والمجد

ومصر لم تعمل بعد بهذه النظريات ، وإن كانت قد عرفتها وأرسلت البعثات تلو البعثات لدراستها ، ولم تأخذ بنصيبها من رسالة التربية الحديثة وإن كانت تنادى بها وتعطف عليها وتشترك فى مؤتمراتها . ويخطئ بل يكذب من يقول غير هذا عن وزارة المعارف . فهى نفسها إلى اليوم حائرة ضالة طريقها مرتبكة لم تعلم بعد رسالتها ، ولم تفهم مهمتها على وجه التحديد !! وهو أمر لو كان فى بلد آخر غير مصر لكان جريمة لا تغتفر ، ولاتهمت وزارة المعارف بإفساد حياة الناس ، ولرفعت عليها القضايا من أولياء أمور الطلبة ، ولثار عليها الرأى العام . وذلك لأن التعليم فى عصرنا هذا فريضة وطنية ، والتربية العامة واجب مقدس . ووزارة المعارف هى وحدها الأمينة عليهما ؛ فإذا هى اضطربت فى تأدية رسالتها كان الأمر نكراً ، واضطربت معها حياة الناس ، وارتبك سير الآلة الاجتماعية . وإذا كنا نعلم أن جهالة فرد قد تطوّح بمستقبل أسرة أو عدة أسرات أمكننا أن نتصور مدى الخطورة فى جهالة شعب بأسره !!

ولنسرد الآن شيئاً من التفصيل عن هذه الناحية . فقد جاء فى الإحصاءات الأخيرة أن نسبة المتعلمين بين الصغار الذين بلغوا سن التعليم هى ١٢ ٪ . ولتبيان ضآلة هذه النسبة نذكر أنها فى السويد ٩٨ ٪ ، وفى تشيكسلوفاكيا ٦٠ ٪ ، وفى اليونان ٣١ ٪ ، مع أن المعروف عن هذه الدول أنها من الصف الثانى والثالث من حيث التعليم .

أما نسبة الأمية — ولا نقول الجهالة فأمر هذه أفدح وأنكى — فيمن فاتوا سن التعليم من الذكور فهى ٧٩ ٪ . وإن هذه النسبة المخجلة جداً لتصبح أشد هولاً لو أسقطنا من الحساب عاصمتى القطر (القاهرة والاسكندرية) إذ نجدها فى أسوان وأسيوط وجرجا ٩١ ٪ ، ثم تتراوح فى باقى المديريات بين ذلك وبين ٧٠ ٪ .

فإذا أردنا أن ندلف من التعميم إلى التخصيص وجدنا عار الأمية متفشياً بين أرباب المهن الحرة والفلاحين ، مع أن هذه الطبقات فى أشد الحاجة إلى التعليم ، بل وإلى نوع معين بالذات من التعليم .

ومن الغريب ، بل من المضحك المبكى ، أن مصر التى تشكو الأمية مر الشكوى بها أزمة بطالة بين المتعلمين . وهما مشكلتان متناقضتان ، وقلما تجتمعان فى بلد متحضر . وسر هذا التناقض أن المشرفين على التعليم — فى الماضى — لم يراعوا حاجة البلاد إلى التعليم ، ولم يحسبوا للضرورات الاجتماعية حساباً . ونحن اليوم ندفع ثمن هذه الجريمة الوطنية من كرامتنا وثروتنا القومية ، ونعانى تأخراً مخجلاً فى حضارتنا العقلية والأدبية والمادية .

ولو أردنا تشخيص مرض الأمية المتفشية فى مصر لوجدنا أسبابه كما يأتى مجتمعة وبلا ترتيب :

١ — ضآلة ما ينفق على التعليم بالنسبة لحاجة الشعب إليه ، والرغبة فى مسايرة العصر : فميزانية التعليم لا تزيد عن ٩½ ٪ من الميزانية العامة مع أن المستر كلاباريد — الخبير السويسرى الذى استقدمته الحكومة المصرية منذ أكثر من اثنى عشر عاما — أوصى برفع هذه النسبة إلى ١٢ ٪ على الأقل ، لأن إنفاذ مشروعات الإصلاح التى تتطلبها البلاد تتوقف على محو الأمية ، ونوع التعليم الذى يعطى لأفراد الشعب . ولكى ندلل على ضآلة ميزانية وزارة المعارف قد يكفى أن نضرب الأمثال . فنسبة ميزانية التعليم فى النرويج إلى الميزانية العامة ١٣٫٧ ٪ ، وفى الدانيمارك ١٤٫٢ ٪ ، وفى هولندا ١٩٫٣ ٪ ، وفى سويسرا ٣٠ ٪ مع أن شعوب هذه البلاد على درجة عالية من حيث التعليم

١ — سوء توزيع ميزانية التعليم

بدأت الحكومة المصرية بالاهتمام بالتعليم الإلزامى منذ سنة ١٩١٧ حين وضع المغفور له عدلى يكن باشا وزير المعارف فى ذلك الوقت تقريراً وافياً عن ضرورة التوسع فى هذا النوع من التعليم بحيث يكفل تعليم ٨٠ ٪ من الذكور ، ٥٠ ٪ من الإناث ، وها هو ذا قد مر ما يقرب من ربع قرن والحالة آخذة فى الانحطاط ووزارة المعارف تسأل نفسها كل يوم : ما هى مهمة هذا التعليم ، وما هى أهدافه وبرامجه ؟ مع أنه فى يقينى أن مهمة وزارة المعارف لو اقتصرت على ذلك النوع من التعليم ، وقامت بها جاهدة ناجحة

لأدت رسالتها الشعبية على أكمل وجه ، ولكنها مضطربة موزعة الفكر بين هذا التعليم وغيره من أنواع التعليم الأخرى . وأعتقد — غير مغال — أنها قد فشلت فيها جميعاً ! وقد ترتب على ذلك أن صار هذا الجيل إلى فشل خطير ، أصبح معه عاجزاً عن الكفاح في الحياة من أجل كسب القوت

ثم إن وزارة المعارف تضاعف ذلك الخطأ بإغفالها الحاجات الفردية والاجتماعية في ميداني التعليم والتربية ، واهتمامها بالتعليم النظرى القليل الثمرة في عصرنا هذا أكثر من اهتمامها بالتعليم المهنى الغزير الفائدة . فقد بلغت نسبة إنفاقها على النوعين ٤ : ١ مع أن العكس هو الأولى والأحجى . نعم إن مصر شعب زراعى ولكن المزارع المصرى ما زال يعيش بعقلية آبائه وأجداده حتى أصبح عاجزاً عن متابعة تقلبات الأسواق المحلية والعالمية التى يصرّف فيها محصولاته ، فقد سيطرت العقلية الجديدة المثقفة على كل شيء : على الحقل والمصنع والمتجر والسوق . ومصر ككل شعب زراعى لا تستطيع أن تعتمد في معاشها على الزراعة وحدها وخاصة أن في جوف تربتها مواد أولية ثمينة ، وجوها مناسب لصناعات عديدة ، وبها فعلاً نهضة صناعية متوثبة

ووزارة المعارف تأبى إلا أن تحطى في كل شيء . فمصر برغم كونها بلداً ديمقراطياً يعيش على فأس الفلاح وجهد العامل ، وبرغم أن الشعب المصرى « يتمتع » بنسبة من الأمية لا مثيل لها في العالم ، فإن وزارة المعارف لا تبذل من الجهد ، ولا من المال على التعليم الأولى والالزامى الخاص بهاتين الطبقتين قدر ما تبذله منهما على التعليم الخاص بأبناء الطبقات الميسورة والراقية . ومعنى ذلك أن في مصر الديمقراطية تعليما أرستقراطياً ! وهو أمر من الأمور الكثيرة المعكوسة في بلادنا العزيزة !

٣ — فساد البرامج التعليمية

من أبسط القوانين البديهية أن الوسائل تخضع للغايات وتخدمها ، وليس العكس ، لأن الوسائل فانية متغيرة ، أما الغايات فمن صفاتها الثبات والدوام . ومن المعروف أن البرامج الدراسية ليست بذاتها غاية مقدسة ، وإنما هى وسيلة لغاية اجتماعية وقومية . ولكن مصر جرى فيها العرف على أن تفنى الغايات في الوسائل . وهذه القاعدة مطبقة على التربية والتعليم . فقد ضحيت التربية على مذبح التعليم دون أن يستفيد التعليم من هذه التضحية ! فوزارة المعارف لم تستطع إلى الآن أن تكون وزارة تربية ، وإنما ظلت وزارة تعليم بمعناه الضيق القديم : أى وزارة تلقين معلومات جافة ، ودراسات ميتة لا أثر للتجديد والابتكار فيهما . وبرامجها الدراسية أصدق شاهد على هذا ؛ فهى كل يوم في شأن ، ولها في نهاية وبداية كل عام درامى ضحايا يعدون الآن بالآلاف يبتلعهم المجتمع المضطرب القاسى والكفاح الذى لا يرحم . فإذا شبهنا المجتمع بصرح مشيد ، أو بناء قائم ، كان فيه أولئك الطلبة الفاشلون كأنقاض الهدم ! فكل شاب متعلم فاشل هو « شهادة فقر حية » لنفسه ولأسرته . وهو جزء خَرِب في آلة المجتمع . فهل أحست وزارة المعارف بمسئوليتها في هذا الخلل الخطير الكائن بجسم المجتمع ؟؟ أم هى مشغولة بكبار موظفيها وترقياتهم وأغراضهم ، ذاهلة عن رسالتها ، حائرة في تحديد مهمتها ؟!

محمد عبد الرحيم عنبر
بوزارة الشئون الاجتماعية

٧ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الأول — الملابس

أما ملابس الطبقة السفلى فهي جد بسيطة : يلبسون سروالاً فوقه قميص طويل فضفاض ، أو ثوباً أزرق طويل الأكمام من الكتان أو القطن أو من الصوف الأسمر ؛ ويسمى الأول « عريا » والآخر « زعبوطاً » ، وهو يشق ابتداء من الرقبة إلى الوسط تقريباً[1] . ويتمنطق البعض بمنطقة بيضاء أو حمراء من الصوف ؛ والخدم يتحزمون بحزام[2] عريض أحمر اللون من الصوف أو من الجلد وبه عادة كيس لحفظ النقود . وعمامة العامة شال من الصوف أبيض أو أحمر أو أصفر أو قطعة من غليظ القطن أو الحرير الموصلي تلف حول طربوش تحته لبدة بيضاء أو سمراء . وبعض الفقراء لا يملكون غير اللبدة ؛ فلا عمامة ولا سراويل ولا نعل . إنما يرتدون الجلباب الأزرق أو الأسمر أو أسمالاً بالية . وعلى النقيض من ذلك يرتدي الكثيرون صديرياً تحت الجلباب الأزرق ؛ ويلبس بعضهم وعلى الأخص خدم العظماء ، جلباباً أبيض وصديرياً وقفطاناً وجبة ، أو أحدها ثم (العرى) الأزرق أخيراً . وتشد أكام (العرى) الواسعة إلى أعلى بحبل[3] يمر حول كل من الكتفين ويشبك خلف الظهر ويعقد . وقد تعود الخدم (والسواس خاصة) هذه الطريقة ، ويستعملون لها حبالاً من الحرير الأحمر أو الأزرق القاتم . ويرتدي الكثير من أفراد الشعب في الشتاء عباءة كالتي وصفناها من قبل ، ولكنها أغلظ منها ، وبدلاً من اللون الأسود تكون أحياناً ذات خطوط عريضة سمراء وبيضاء أو زرقاء . وهناك نوع آخر من الأكسية كثير الاستعمال يتخذ من الصوف الأسود أو الأزرق القاتم ، وهو أوسع من العباءة ويسمى « دفية »[4] . أما النعال فهي من الجلد المراكشي الأحمر أو الأصفر أو من جلد الخراف . ونعال السواس تكون من الجلد المراكشي الأحمر القاتم ، ولكن أحذية البوابين والسقائين تكون عادة من الجلد الأصفر

وتمتاز عمامة المسلم باللون عن عمامة القبطي واليهودي وغيرهما من رعايا الباب العالي ، فهؤلاء يعتمون بالأسود أو الأزرق أو الرمادي أو الأسمر الخفيف ، ويلبسون عامة الثياب القاتمة . ويرجع استخدام الألوان للتمييز بين المذاهب والمشائر والأسر المالكة إلى عهد بعيد . فإن الإمام إبراهيم بن محمد لما قتله الخليفة الأموي مروان اتخذ بنو العباس الثياب السود لباساً لهم حداداً عليه ، ومن هنا أصبح سواد اللباس والعمامة الزي المميز للعباسيين وولاتهم . حتى أنهم كانوا إذا غضبوا على عامل حكموا عليه بلبس الأبيض . أما اللون الأبيض فقد اختاره مدعي النبوة (المقنع) ليميز حزبه عن العباسيين ؛ كما اختاره فواطم القاهرة لمناهضتهم لبني العباس . وكان سلطان مصر الملك الأشرف شعبان الذي حكم من سنة ٧٦٤ إلى ٧٧٨ هجرية - ١٣٦٢ إلى ١٣٧٦ ميلادية أول من أمر بتمييز الأشراف بالعمامة الخضراء . ومن الدراويش الرفاعيين من يلبسون عمامة من الصوف الأسود أو من الموصلي الزيتوني القاتم . أما عمامة الأقباط واليهود وغيرهم . فهي عادة من الموصلي أو الكتان الأسود أو الأزرق . والعمامة الغالبة الآن في مصر لا تختلف أشكالها كثيراً . فعمائم الخدم معقدة ذات تلافيف حلزونية مدرجة ، وكذلك عمائم كبار التجار والمتوسطين منهم وغيرهم من سكان العاصمة والمدن الكبيرة ، إلا أنها أقل حجماً منها . والعمامة التركية في مصر أكثر أناقة ؛ والعمامة السورية تمتاز بسمنها . وكان العلماء ورجال الدين والأدب يلبسون العمامة الواسعة الكبيرة

---

(١) ويلبس الزعبوط في الشتاء غالبا

(٢) يسمى « كمر »

(٣) يسمى « شمار »

(٤) وهناك نوع من الثياب الزرقاء أو البيضاء يسمى « ملاية » يلبسها بعض الرجال وأغلب النساء ؛ وسنصفها عند الكلام على ملابس النساء ويتشح بها الرجال فوق الكتفين أو حول البدن

ويسمونها « مُقلة » كما ترى في شكل ١٦ . وللعمامة موضع الاحترام والإجلال ؛ فلها في منازل الموسرين كرسي(1) توضع عليه ليلاً ولا يستعمل لغير هذا الغرض . وكثيراً ما يعد هذا الكرسي في جهاز العروس ؛ كما كان من المعتاد أيضاً أن يكون للمرأة كرسي آخر لغطاء رأسها . ويحضرني حكاية قصها علي صديق أسوقها إليك مثالاً لمقدار الاحترام الذي يكنه الشعب للعمامة . فقد رووا أن عالماً سقط من فوق حماره في شارع من شوارع المدينة فتدحرجت عمامته بعيداً عنه . فتجمع المارون وأخذوا يجرون وراء العمامة صائحين : ارفعوا تاج الإسلام ! ارفعوا تاج الإسلام ! بينما كان العالم المسكين طريح الأرض يناديهم مغتاظاً : « أنهضوا أولاً شيخ الإسلام »



شكل ١٦
(عمامة العلماء « المقلة »)

* * *

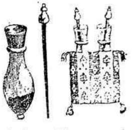
ننتقل الآن إلى وصف هيئة النساء العامة وملامحهن . فالمصريات منذ بلوغهن الرابعة عشرة حتى العشرين ، هن من حيث الجسم مثال الجمال ؛ ومحياهن يسر العين ، ويجذب النفس . ولكن سرعان ما يذوي هذا الجمال بعد أن يستحيل الشباب ويستكمل الجسم نموه . وطبيعة الجو تؤثر على طبيعة الصدر قبل الأوان ، فترتخي هيئته وتستوي أجزاؤه ؛ بينما يحتفظ الوجه بكل فتنته . وبالرغم من تراخي الزمن لا يذهب رواءهن ، فإن كثيرات منهن متى بلغن الأربعين يصبحن ، ولو كن جميلات في شبابهن ، قبيحات الصورة كريهات المنظر . وأنوثة المصريات يبدأ نموها عند التاسعة أو العاشرة تقريباً ؛ فتبلغ عنفوانها في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة . ويلاحظ أن سحن النساء كسحن الرجال ؛ إلا أن الشمس لاحتجابهن لا تسفعهن ، ويتزين بمحياهن البيضي الجميل ، وقد يمرُض في بعضهن . أما العيون فدعجاء ، نجلاء ، لوزية الشكل ، وطفاء الأهداب ، تفيض وداعة تملك النفوس ، وسحراً يسبي القلوب ، ولم أر فيما رأيت عيوناً أجمل من العيون المصرية . ويزيدها جاذبية احتجاب الملامح بالنقاب . وتأثيرها في النفوس

(1) يسمى « كرسي العمامة »

يزيده كحل الجفون كما ترى في شكل ١٧ . والكحل سناج اللبان العطري المحروق . ويصنع أيضاً من سناج قشر اللوز . وهذان النوعان مع الاعتقاد بفائدتهما للعين يستعملان للزينة فقط . إلا أن هناك أنواعاً أخرى تستعمل لخواصها الطبية الحقيقية ، وأخصها مسحوق الرصاص(1) ، المضاف إليه العنزروت وعرق الذهب وسكر النبات ومسحوق الذهب البندق ، وأحياناً مسحوق اللآلئ . ويقال إن الأثمد كان يستعمل قبلاً لتكحيل أصول الأهداب . وتكحل العين بمرود صغير من الخشب أو العاج أو الفضة ، دقيق الطرف كليل الحد ، يبل أحياناً بماء الورد ثم يغمس في المسحوق ويمرر بين الجفنين . والوعاء الزجاجي الذي يوضع فيه الكحل يسمى « مُكْحُلة » كما ترى في شكل ١٨



شكل ١٧
(عين مكحلة)



(شكل ١٨ ـ مكاحل ومراود)

وعادة التكحيل كانت شائعة بين الجنسين في مصر القديمة ؛ وهي ظاهرة في نقوش المعابد والمقابر المصرية ورسومها . وكثيراً ما اكتشف في المقابر القديمة مكاحل فيها آثار الكحل ومراودها ، (شكل ١٩) . ولكن طريقة التكحيل القديمة تختلف بعض الاختلاف عن الطريقة الحديثة كما ترى في شكل ٢٠ . وقد رأيت في ضواحي القاهرة نساء يكحلن أعينهن على الطريقة القديمة ، ولم أصادف ذلك إلا مرتين



شكل ١٩
(مكحلة ومرود قديمان)

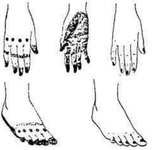


شكل ٢٠ ـ (الطريقة القديمة في التكحيل)

(1) « كحل الحجر »

وهذه الطريقة نفسها كانت شائعة فى عقائل الإغريق ونساء اليهود فى قديم الزمن [١] . وعين المصرية على الجملة أجمل ما فى وجهها . ويلاحظ أن جمال الملامح فى المصريات أقل من جمال الهيئة ؛ ولكنى بصرت بوجوه يعوزها نوع من الحسن ينم عن حلاوة العذوبة ويعبر عن فتنة الأنوثة ؛ فيأخذ بمجامع القلب إلى حد ينكر الإنسان وقتاً ما أن الله لم يخلق المصريات مثيلات فى أى بلد آخر . والقليل من النساء يسفرن أمام الغريب مدفوعات إلى ذلك بالرغبة فى إظهار جمالهن وإن ادعين غير ذلك . ومن ثم لا يستطيع الأجنبى أن يبنى رأياً صحيحاً من هؤلاء النسوة . ولكن مثل هذه العيون لا يمكن أن تخلق إلا فى الوجه الحسن ولو كانت تقاطيعه متوسطة الجمال ؛ أما الأنف فمستقيم القنا ؛ والشفاه أغلظ من شفاه الرجال دون أن تصل إلى غلظة شفاه الزنوج ؛ غير أن الفم وغيره من قسمات الوجه تقرب من الجنس الحبشى . وأما الشعر فهو من ذلك الأسود الحالك المصقول الذى يناسب السحن كلها غير السحنة البيضاء ، وقد يكون غليظاً بعض الشىء ، ذا حلق من دون تجعيد

ويخضب نساء الطبقات الراقية والوسطى والكثير من الفقيرات أيديهن وأقدامهن بأوراق الحناء ، فتكتسب أطرافهن لوناً أحمر مشرباً بالصفرة ، أو برتقالياً قاتماً . والكثيرات منهن لا يصبغن غير أظافر الأصابع ، وبعضهن لا يتعدين عقود الأنامل ، والبعض الآخر يرسمن خطاً على صف العقود التالية ؛ وغير ذلك من الأشكال الغريبة الأخرى . إلا أن الطريقة الغالبة هى تخضيب أطراف الأيدى والأرجل حتى المفاصل الأولى ، وكذلك راحة الكف وبطن القدم [٢] ؛ وأحياناً يضاف خط بجانب المفاصل الوسطى وآخر فوق أصابع القدم بقليل كما ترى فى شكل ٢١ ،



شكل ٢١ (تخضيب الأيدى والأقدام بالحنة)

والخضاب يكون بسحق أوراق الحناء وعجنها بالماء ، ثم تبسط على راحة الكف وأجزاء اليد الأخرى ، ثم تثنى الاصابع وتقبض اليد ، وتربط برباط من الكتان ليلة بطولها ؛ وكذلك القدم . ولا ينصل الخضاب إلا بعد أيام ، فيجدد كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع . وعادة الخضاب ليست قاصرة على مصر ، بل تتعداها إلى بلدان الشرق التى يعوزها شاطئ النيل بالحناء

والحناء على الأظافر تكون أكثر لماناً وأشد صفاء وأطول بقاء . كما أن تخضيبها أو تخضيب الأصابع يعتبر بحق زينة للنساء ، إذ يحسن لون البشرة ويكسبه رقة . بيد أن بعض النساء يعمدن إلى طرق لا يستسيغها الذوق الأوربى ، فيُعقبن الحناء بمعجون من الجير والنشادر وزيت بذر الكتان فيتحول لون الحناء الجميل إلى لون أسود أو زيتونى مشرب بالسواد . وكثيراً ما يلاحظ ميل النساء إلى هذه الطريقة فيُرَيْنَ مخضبات الأظافر أو الأصابع بهذا اللون القاتم ، إلا أنهن يتركن العقود الوسطى بحمرة الحناء ؛ والكف على النقيض من ذلك يتوسطه خط عريض أسود ؛ وبعضهن يتبعن أبسط الطرق فيسودن الأنامل وراحة الكف كلها .

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) وكثيراً ما يستعمل الملقاط لتزجيج الحاجبين وزيادة تقوسهما

(٢) ويقال إن التخضيب له تأثير لطيف على البشرة ، وعلى الأخص يقى الجلد شدة الرخوصة والحساسية

ليالي القاهرة

الدمعة الخرساء!...

للدكتور إبرهيم ناجي

عرفتُ الذي تخفين عرفانَ مُلهَمٍ / إذا الدمعةُ الخرساءُ لم تتكلمِ
وأنتِ سماءٌ يعشقُ المرءُ نورَها / ويعشقُ ما في أفقها من تجهّمِ
وإني إذا عيناكِ بالدمعِ غامتا / جديرٌ بأن يمشي على هدبها فمي
دعيني أحلّقْ في سمائكِ طائراً / ويسبحْ خيالي في سناكِ المعظَّمِ
ألا إنَّ ضوءَ البدرِ إحسانُ محسنٍ / له أينما يسري تفضّلُ منعمِ
يطوفُ به في الناضرِ المتبسّمِ / وينشرُهُ في الدارسِ المتهدّمِ
ويا رُبّما يغشى الخميلةَ ضاحكاً / فتحلُمُ في جوٍّ من السحرِ مُبهَمِ
وينشرُ في الأطلالِ ظلاً كأنّهُ / خيالُ الأماني في محاجرِ نُوَّمِ

ابرهيم ناجي

من غربة الروح

في وادي التيه!...

للأديب عبد الرحمن الخميسي

شرّدتني بينَ المجاهلِ أيّا / مي فصاحتْ في وجهيَ الفلواتُ:
أيّها التائهُ المنقّلُ في الرمـ / ـلِ خطاهُ ضاقتْ بكَ الفتراتُ
قدكَ! إنّ المسيرَ أنهكَ أقدا / مكَ والأفقُ غائمٌ والسماءُ
والأعاصيرُ نائحاتٌ حوالـ / ـكَ وبينَ القفارِ عاشَ المماتُ
أينما سرتَ فالخرابُ مقيمٌ / أنقذيهِ من البلى يا حياةُ!
وخُذيهِ إلى الذي يبتغيهِ / حولكَ الشعرُ والهوى والغناءُ
وكأنَّ الرياحَ تسألُني: ما / ترتجيهِ لِمَ السُّرى والعناءُ؟
قلتُ: أهوى أسيرُ إنّي أراها / هاتِهِ واحةٌ! وثَمّ ضياءُ!
وتغرّبتُ في المهامهِ عطشا / نَ ولكنْ عليَّ عزَّ الماءُ
أحملُ الفرحةَ الكبيرةَ بالآ / مالِ هانتْ حيالَها الأعباءُ
وأغنّي على الجديبِ كأنّي / بلبلٌ راقهُ الشذى والنباتُ
أقتلُ الجوعَ والصدى في فؤادي / بالأماني ... وكلّهنّ هباءُ
وبلغتُ السرابَ لم ألقَ شيئاً / أينَ ما كنتُ أرتجي يا سماءُ
ضاقَ بي الكونُ كلّهُ يا إلهي / بعدَ أمّي وقطّبتْ لي الحياةُ
يا عواءَ الذئابِ في البلقعِ المجرو / دِ! يا مغنىً قد سئمتْهُ الفلاةُ!
كفَّ عن مسمعي فلم يبقَ غيري / وأنا ميّتٌ كما قد ماتوا!

عبد الرحمن الخميسي

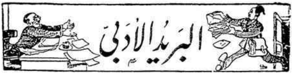
عينـــاها...

للأديب أحمد أحمد العجمي

إنّ في عينيكِ من سحرِ الهوى / فتناً ترقصُ في قلبي سكارى
كلّما أرسلتِ منها فتنةً / تتهادى أشعلتْ في القلبِ نارا
وإذا أمعنتُ سرّاً فيهما / فتلقّتني عينُكِ الوسنى جهارا
أنتِ يا فاتنةَ الدنيا، ويا / بابلَ السحرِ ويا قيدَ الأسارى
لم تكنْ عينُكِ إلا قبساً / كابتسامِ الفجرِ يفترُّ افترارا
وهيَ الآنَ سهامٌ وظُباً / تقتلُ الصبَّ وتحييهِ مرارا
فاصنعي ما شئتِ يا فاتنتي / إنّ في عينيكِ ليلاً ونهارا

هدّئي روعي! وقولي لدمي / ويكَ يا ظمآنُ لا تشكُ الأوارا
هذه عيني! وذيّاكَ فمي / وإذا الوردُ رأى خدّي توارى
ثمّ تشكو ظمأَ الروحِ معي / وأنا أسقيكَ من عيني عقارا
آهِ لو ترجعُ أيامُ الهوى / إذ خلعنا في لياليها العذارا
وقضيناها ولا ندري بها / بينَ أحلامٍ كأنفاسِ العذارى

أحمد أحمد العجمي



حول التعليم في العراق

ألقى الأستاذ فاضل الجمالي مدير التربية والتعليم في العراق في مساء الثلاثاء ٩/٩/١٩٤١ محاضرة قيمة عن التعليم في العراق على جمهرة من رجال التربية والتعليم في مصر بنادي المعلمين

وقد تحدث الأستاذ عن سياسة العراق التعليمية ، وكان من بين المشكلات التي أثارها مشكلة الامتحانات ، وذكر أن العراق — علاجاً لهذه المشكلة — تتجه إلى أن تكون المدرسة هي صاحبة الرأي الأول في نجاح الطالب إلى أن يصل إلى الامتحانات العامة وهي التي تعقدها وزارة المعارف ، ثم أمّل الأستاذ أن يتعاون رجال التعليم في مصر والعراق في بحث هذه المشكلة

ومشكلة الامتحانات قديمة في مصر وغيرها ، وأذكر أن كثيراً من اللجان عقدت في مصر وطال فيها بحثها . ولا شك أنها اهتدت إلى نتائج ، ولكننا لا نرى أثراً لهذه النتائج في مدارسنا ؛ فالامتحانات هي هي ، مقياسها خاطئ وميزانها معتل .

وقد يكون من وضع الأمور في مواضعها أن نقول إن هذا الرأي الذي تتجه إليه العراق — وهو أن تكون المدرسة هي صاحبة الرأي الأول في نجاح الطالب — هو الرأي الذي رآه من قبل أستاذنا القباني بك وأشار إليه في كثير من بحوثه القيمة في التربية ، بل إنه وضعه موضع التنفيذ في المدرسة النموذجية الملحقة بمعهد التربية فنجح أي نجاح

والطريقة المتبعة في هذه المدرسة أن يجتمع المدرسون بعد امتحان الفترة الأخيرة ونصب أعينهم نتائج الفترات الثلاث لكل تلميذ وما حصل عليه في اختبار الذكاء وسن التلميذ، وأخيراً رأي كل مدرس فيه ، ومن كل هؤلاء يوضع للتلميذ موضعه من النجاح أو البقاء في فرقته أو نصح ولي أمره بتوجيهه إلى الوجهة التي يصلح لها إن لم يكن يرجى منه في وجهته خير ، وقد يشترك ولي أمر التلميذ ـ في بعض أحوال خاصة ـ في نجاحه أو بقائه .

ويظهر أنه قد تبين لأولياء الأمور ، عند بحث هذه المشكلة في مجلس النواب ، صواب هذا العلاج لمشكلة طال عليها الأمد فعزموا على الأخذ به في بعض الفرق الأولى ، ولعلنا نراه قريباً في جميع الفرق وفي جميع مراحل التعليم ناجحاً نجاحه في المدرسة النموذجية .

محمد محمود رضوان
المدرس بالمدرسة النموذجية

١ — حول كتاب الأستاذ الرافعي عن فريد بك

قرأت في العدد (٤٢٩) من « الرسالة » كلمة للأديب لبيب السعيد عن هذا الكتاب اختلف فيها مع نفسه ونقض في آخرها ما أثبته في أولها ؛ إذ قال عنه : « إن الشباب سيجدون فيه كتاباً تاريخياً دقيقاً » ، ثم قال بعد ذلك عن المؤلف : « إنه يتعقب زعيما بعينه فيبحث له عن زلات ! ويفسر تصرفاته بما يسيء إلى سيرته » . وهذا كلام لا يمكن لقارئ منصف أن يقبله ؛ لأن الدقة في التأريخ تتنافى مع البحث عن الزلات وتلمس المساوئ ؛ ويلوح لي أنه كتب هذه الكلمة قبل أن يقرأ الكتاب ؛ أو هو قرأه ولم ينتبه إلى ما فيه من الحقائق والوثائق ! وآية ذلك أنه لم يذكر لنا شيئاً من مواضع الإحسان ولا مثلاً من مآخذ الإساءة . ولو ذكر لنا ولو حادثة واحدة غيرتها حزبية المؤلف عن وضعها الطبيعي وردها هو إلى حقيقتها التاريخية لوجدنا في كلامه ما يستحق النظر .

ولعل هذه هي المرة الأولى التي يُرمى فيها الأستاذ الرافعي بالميل مع الهوى . ولعله كذلك الرجل الوحيد الذي أجمع مخالفوه في الرأي والسياسة على نزاهته وعفته . وقد كان المغفور له « سعد زغلول باشا » يفاخر بمعارضته في مواقفه البرلمانية ، ويتخذها مثلاً للمعارضة النزيهة .

ولست أدري بعد هذا من أين جاء لبيب أفندي بما ادعاه على الأستاذ وهو شيء ليس في كتابه ولا في أي كتاب من كتبه .

٢ — أدعياء الشعر

تصفحت عدد السياسة الأسبوعية رقم ٢٣٩ فلفت نظري فيه قصيدة منشورة في صفحة الشعر تحت عنوان (أفي الحق أن

أنسى بلادي سلوة؟) وهى قصيدة مشهورة من عيون شعر الأستاذ معروف الرصافى شاعر العراق . وقد نشرت فى الصحف والمجلات منذ أكثر من عشرين سنة ؛ وهى مطبوعة فى كثير من كتب المحفوظات المدرسية . وهى موجودة أيضاً فى ديوان الرصافى ومطلعها :

هو الليل يثرى بالأسى فيطول ... ويرخى وما غير الهموم سدول
أبيت به لا النائبات طوالع ... على ولا للطالعات أفولُ

لفت نظرى أن أقرأ هـذه القصيدة منشورة فى السياسة الأسبوعية فى عدد الأسبوع الماضى بإمضاء « صلاح الدين الضيف ، من تمى الأمديد » . ولم أعجب لجرأة هذا الشاعر على انتحال شعر غيره لعلمى أن لصوص الشعر والأدب كثيرون ولـكن الذى عجبت له ، هو غفلة هـذا المسكين وحرصه على ألا يضع توقيعه الـكريم إلا على قصيدة معروفة لشاعر مشهور !

فإذا كان هذا الشاعر قد أرضى شهوته بنشر اسمه تحت هذه القصيدة . فماذا يكون حاله حين يعرف الناس أنه رقيع ، وليس له من هذه القصيدة غير التوقيع ؟

(المنصورة) على عبد الله

على هامش القاموس السياسى – « أفغانستان »

من الـكتب القيمة التى ظهرت فى هـذه الأيام كتاب : « القاموس السياسى » ، ولست أنكر ما تحمله الأستاذ أحمد عطية الله فى وضع هذا الـكتاب من التعب والنصب ، وقراء العربية يشكرونه على ما جمعه فيه من المعلومات القيمة المختصرة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمختلف بلدان المعمورة وإن كنت أعترض فى كلمتى هذه على بعض ما كتبه فى قاموسه عن بلادى ، فذلك ذكراً للحقيقة وخدمة للقراء الـكرام

١ — يقول الأستاذ فى صفحة ٣٢ من قاموسه : « واستولى على العرش أمان الله خان الذى شن غارات ضد انجلترا ، انتهت بعقد صلح فى عام ١٩٢١ » ؛ ولقد لفت نظرى تسميته حرب استقلال أفغانستان بشن غارات ، والله أعلم أنها لم تكن شن غارات ، بل حرباً نظامية فى ثلاث جبهات وعسى أن يوفقنى الله إلى شرح هذا الموضوع فى المستقبل

٢ — يقول الأستاذ فى نفس الصفحة السابقة أيضاً : « وفى عام ١٩٢٦ لقب نفسه بالملك أمان الله » ؛ وأعتقد أن الأستاذ يوافقنى على أن هذه الجملة تتعارض مع كتاباته السابقة التى قال فيها : إن أمان الله خان استولى على العرش عام ١٩١٩ ، وإن انجلترا اعترفت باستقلال أفغانستان عام ١٩٢١

فإذا كان أمان الله خان لقب نفسه بالملك عام ١٩٢٦ ، فماذا كان يلقب من عام ١٩٢١ إلى ذلك التاريخ ؟

إن ما عمله أمان الله خان عام ١٩٢٦ ، هو إنشاؤه مجلساً عاماً للأمة برياسته كان يسمى « لوى جركة » جمع فيه أعيان الأمة ونوابها وعلماءها ومفكريها ليستشيرهم ويتباحث معهم فى الإصلاحات الداخلية للمملـكة

٣ — قال الأستاذ فى صفحة ٣٣ من كتابه عن العلم الأفغانى إنه أخضر وأحمر وأسود بنقوش فى وسطه وليس العلم الأفغانى كما قال الأستاذ ، بل هو أسود وأحمر وأخضر . أما النقوش التى فى وسطه والتى ذكرها الأستاذ ، فهى رسم للجزء الداخلى من الجامع بالمحراب والمنبر

محمد هارون المجددى

إلى الأستاذ النشاشيبى

جاء فى مختار الصحاح مادة « سخُف » ، السخف بوزن القفل رقة العقل وبابه طرب فهو سخيف ، وقد استوقفتنى عبارته « من باب طرب » ، لأن الأوزان القياسية التى تأتى من باب فعِل فى الصفة المشبهة لم يذكر فيها هذا ، ومع أنى لا أنكر أن باب الصفة المشبهة كثيراً ما يعتمد على السماع ، إذ قد ورد من باب فَعِل أوزان سماعية منها : سعيد وسقيم وأسيف ومريض ... إلى غير ذلك . فقد حاولت أن أقف على الحقيقة كاملة ، فاتجهت إلى معاجم اللغة الـكبرى كلسان العرب والقاموس والأساس فلم أجد من نص على أن سخف من باب

فَسِل بل ضبطت فى كل المعاجم المذكورة بالضم على أنها من باب فَسُل

جاء فى القاموس: سخف ككرم سخافة فهو سخيف، وجاء فى الأساس: وقد سخُف الثوب سخافة وهو السخيف النسج والصحاح للجوهرى مع أنه الأصل لكتاب مختار الصحاح وجدت الكلمة فيه أيضاً مضبوطة بالضمة. قال فى الصحاح: سُخفة الجوع رقته وهزاله يقال به سخفة من جوع. والسُّخف بالضم رقة العقل. وقد سخُف الرجل بالضم سخافة فهو سخيف. الجزء الثانى مادة سخف

هذا ما قدرت على بحثه ومراجعته وهو وإن كان يخول لى تخطئة المختار إلا أنى لا أزال أتوجه إلى الأستاذ النشاشيبى راجياً أن يبين لنا وجه الحق فى هذا؛ وإنى لفى لهفة وشوق للتزود من معارفه وآفاقه الواسعة التى وعتها مجلة الرسالة الغراء. وبمناسبة ما جاء فى مختار الصحاح، أنقل كلمة للمرحوم الشيخ نصر الهورينى فى مقدمته لكتاب الصحاح للجوهرى، يقول: «اختصر هذا الكتاب ابن الصائغ الدمشقى والجوانى والرازى. ومن بينهم المولى محمد المعروف بالقيسى المتوفى سنة ١٠١٦ ومختصره أنفع وأفيد من مختار الصحاح. كذا قيل لكنه لم يشتهر

وإذا كان هذا الكلام صحيحاً فما الذى منع وزارة المعارف عن طبع هذا المختصر؟... لعل الأستاذ يذكر لنا شيئاً عنه، ويعرفنا به؛ فلعل الوزارة تسمع صوته فتقوم على طبعه؛ وللأستاذ منا أصدق الشكر والمحبة

(بستان دمياط) عبد المنعم سليمان مسلم

تعقيب

رأيت الأستاذ «الكاتب الكبير» حفظه الله يقول فى مقاله «أحاديث التلاميذ المصريين» الرسالة رقم ٤٢٨ (... إن عيشنا رتيب رتيب) وفى قصيدة الشاعر حافظ ابراهيم المحبية «أذنت شمس حياتى بمغيب» يقول الشارحون الفاضلون للبيت:

لا ولا يسئمه ذاك الذى يسئم الأحياء من عيش رتيب «الذى وجدناه فى كتب اللغة بهذا المعنى: الراتب لا الرتيب». الجزء الثانى من الديوان طبعة عام ١٩٣٧

قلت: وكثيراً ما اجتهدت أن أقع على كلمة رتيب فيما أقرأه من الشعر والأدب القديمين ولكنى إلى اليوم لم أظفر بذلك. والذى جعلنى أخوض فى ميدان التعقيب اللغوى، وهو ميدان وعر المسالك لا أحب لنفسى الخوض فيه، هو اضطرارى أحياناً إلى استعمال هذه الكلمة فى الشعر فأنكب عنها لعدم اطمئنانى إليها

فهل للكاتب «المبارك» أن يبين لى رأيه فى ذلك أو يظهرنى على ورود هذه الكلمة فى قول قديم، فيفيدنا من علمه وأدبه، أعز الله قلمه فيما يصول ويجول؟

«نابلس» فدوى عبد الفتاح طوقان

فى اللغة

أشكر للأستاذ العلامة الكبير وحيد بك جوابه عن سؤالى الخاص بكلمة «هناء» ومع ثقتى بعلمه واطلاعه أرجو أن يسمح لى بسؤال آخر فى سبيل الخدمة اللغوية العامة:

بحثت أنا وبعض أصدقائى من الأدباء عن «هناء» فى لسان العرب وتاج العروس والمحيط للفيروزابادى والأساس للزمخشرى. حتى... المصباح المنير ومختار الصحاح، فلم نجد هذه الكلمة

فهل يتفضل السيد العلامة الكبير وحيد بك بأن يرشدنا — أنا والأصدقاء المنضمين إلىّ فى هذا السؤال — إلى المرجع الواردة فيه الكلمة المذكورة؛ والذى نعتقد من تحقيق العلامة الكبير أنه من المراجع الموثوق بها. (ع ج ع)